

9

سلسلة الدروس الثقافية

في كنف الوحي



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية



في كنف الوحي

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب : في كنف الوحي
إعداد : مركز نون للتأليف و الترجمة
نشر : جمعيّة المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى أيلول 2004م-1425هـ

في كنف الوحي

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهرين الأكرمين الذين من تولاّهم نجا ومن تخلّف عنهم غرق وهوى.

إن القرآ الكريم لم يقتصر على كونه معجزة النبوة وبرهان الرسالة، بل هو بالإضافة إلى ذلك كتاب الهداية بقوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وهو الضمان الذي لا بد من التمسك به لمنع الإنحراف والأمن من الضلال وفي الرواية عن علي عليه السلام قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

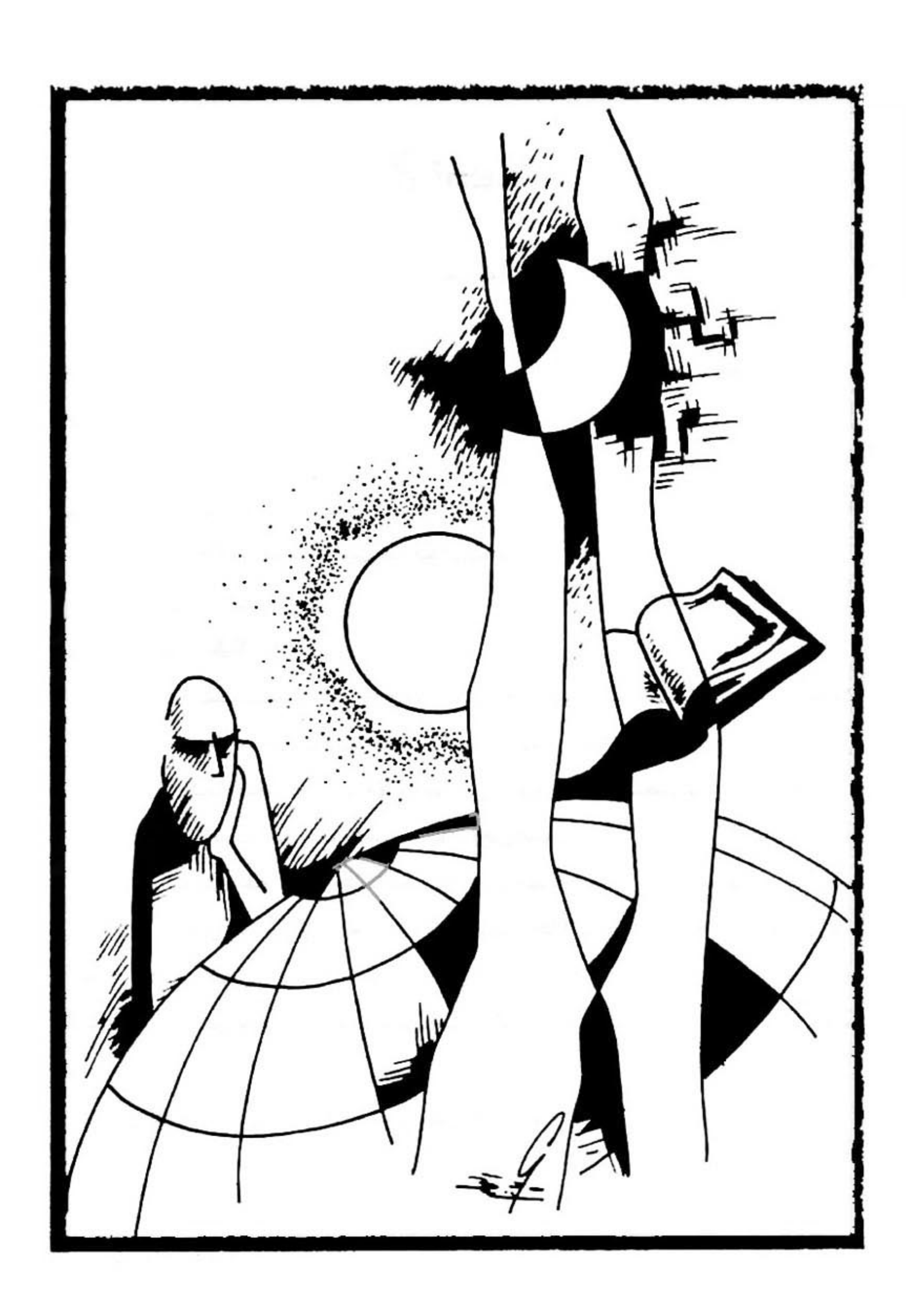
هذا الكتاب الماثل بين يديك هو للاستفادة من الكتاب العزيز والاستنارة بنوره والاهتداء بهداه من خلال انتخاب بعض قصار السور وبيان معانيها والتركيز على بعض مفاهيمها.

نسأل الله تعالى أن ينفع به المؤمنين ويزيدهم هدى.

مركز نون للتأليف والترجمة

---

(١) سورة البقرة، الآية/٢.



سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ الضحى: انتشار نور الشمس.

٢ ـ تلاها: اتبعها.

٣ ـ جلاها: أظهرها وأبرزها.

٤ ـ يغشاها: غطاها أو يلبسها السواد.

٥ ـ طحاها: بسطها ومَهَّدَها.

٦ ـ زكاها: طهرها.

٧ ـ دساها: أخفاها أو جعلها قليلة.

٨ ـ طغواها: طغيانها.

٩ ـ عقروها: أهلكوها.

١٠ ـ دمدم: عذب وعاقب وأهلك.

١١ ـ عقباها: عاقبتها.

٢ ـ هوية السورة:

ـ مكية، وعدد آياتها خمس عشر آية.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة هي في الواقع سورة تهذيب النفس، وتطهير القلوب من الأدران، ومعانيها تدور حول هذا الهدف. وفي مقدمتها قسم بأحد عشر مظهراً من مظاهر الخليقة وبذات الباري سبحانه، من أجل التأكيد على أن فلاح الإنسان يتوقف على تزكية نفسه. والسورة فيها من القسم ما لم يجتمع في سورة أخرى.

وفي المقطع الأخير من السورة ذكر لقوم ثمود باعتبارهم نموذجاً من أقوام طغت وتمردت، وانحدرت ـ بسبب ترك تزكية نفسها ـ إلى هاوية الشقاء الأبدي، والعقاب الإلهي الشديد.

هذه السورة القصيرة ـ في الواقع ـ تكشف عن مسألة مصيرية هامة من مسائل البشرية، وتبيّن نظام الإسلام في تقييم أفراد البشر.

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة يكفي أن نذكر حديثاً عن رسول اللّه ﷺ قال:

«من قرأها فكأنما تصدّق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر»[1].

في كنف السورة:

١ ـ الظواهر الكونية والنفس الإنسانية:

إن اقتران النفس الإنسانية مع الظواهر الكونية كالشمس والقمر والأرض والسماء والليل والنهار، مع ما تتضمنه هذه الظواهر من عظمة يدلُّ على عظمة النفس الإنسانية ومدى دورها في هذا الكون العظيم.

فموضوع النفس الإنسانية موضوع خطير وعظيم: كعظمة السماء والأرض والشمس والقمر... فهي (أي النفس الإنسانية) تستحق الاهتمام من الإنسان ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها، كما أن هذه الظواهر تستحق التفكُّر.

من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي يمعن النظر في هذه الموضوعات الهامة من عالم الخليقة، وليتخذ منها سبيلاً إلى اللّه تعالى.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٤٩٦.

فالشمس مثلاً: ذات دور هام وبنّاء جداً في الموجودات الحيّة على ظهر البسيطة. فهي إضافة إلى كونها مصدراً للنور والحرارة، وهما عاملان أساسيان في الحياة الأرضية، تعتبر مصدراً لغيرهما من المظاهر الحياتية. حركة الرياح، وهطول الأمطار، ونمو النباتات، وجريان الأنهار والشلالات، بل حتى نشوء مصادر الطاقة مثل النفط والفحم الحجري، كل واحد منها يرتبط ـ بنظرة دقيقة ـ بنور الشمس.

ولو قدر لهذا المصباح الحياتي أن ينطفئ يوماً لساد الظلام والموت في كل مكان.

هذا جانب من التفكّر في بعض ما أقسمت به هذه السورة المباركة وهو جزء بسيط جدّاً من هذا الكون الشاسع.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

٢ ـ أهمية تهذيب النفس:

كلّما ازداد عدد أقسام القرآن ازدادت أهميّة الموضوع. وفي هذه السورة المباركة أكبر عدد من الأقسام، ثم جاء التركيز على أن النجاح والفلاح في تزكية النفس، وأن الخيبة والخسران في ترك التزكية. وهذه في الواقع أهم مسألة في حياة الإنسان، والقرآن إذ يطرح هذه الحقيقة إنما يؤكد على أن فلاح الإنسان لا يتوقّف على جمع المال والمتاع الفان ونيل المنصب والمقام، ولا على أعمال أشخاص آخرين ـ كما هو معروف عند المسيحيين بشأن ارتباط فلاح الإنسان بتضحية المسيح ـ بل الفلاح يرتبط بتزكية النفس وتطهيرها وسموها في ظل الإيمان والعمل الصالح.

وشقاء الإنسان ليس أيضاً وليد قضاء وقدر اجباريين، ولا نتيجة مصير مرسوم، ولا بسبب فعل هذا أو ذاك، بل هو بسبب التلوّث بالذنوب والانحراف عن مسير التقوى.

وفي التاريخ نماذج عديدة تؤكّد هذه الحقيقة، أقصد أن فلاح الإنسان إنما هو بعمله وبإرادته وصبره وتزكيته لنفسه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية/ ١٩١.

نعطي حادثة يرويها التاريخ فيها عبرة لمن اعتبر، وازدجار لمن ازدجر، ففي الروايات أن زوج العزيز ـ زليخا ـ قالت ليوسف لما أصبح حاكم مصر: إن الحرص والشهوة تصير الملوك عبيداً، وأن الصبر والتقوى يصيّر العبيد ملوكاً، فقال يوسف عليه السلام: قال الله تعالى:

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

وعنها أيضاً قالت لما رأت موكب يوسف ماراً من أمامها: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً.

٣ ـ عاقبة أمّة لم تهذّب نفسها:

الفلاح والخيبة الناتجان عن تزكية النفس وعدمها، غير مقتصرين على الإنسان الفرد بل هذه السنّة الإلهية تنطبق على الأمم، والآيات الأخيرة من هذه السورة المباركة تشير إلى هذه السنّة الإلهية، فتتحدّث عن مصير قوم «ثمود» بعبارات قصيرة قاطعة ذات مدلول عميق.

فقوم ثمود من أقدم الأقوام التي سكنت منطقة جبلية بين الحجاز والشام كانت لهم حياة رغدة مرفهة، وأرض خصبة، وقصور فخمة، غير أنهم لم يؤدوا شكر هذه النعم، بل طغوا وكذبوا نبيهم صالحاً، واستهزأوا بآيات الله، فكان عاقبة أمرهم أن أبيدوا بصاعقة سماوية.

ثم تستعرض مقطعاً بارزاً من طغيان القوم وتقول: إذ انبعث أشقاها، وأشقى ثمود، هو الذي عقر الناقة التي ظهرت باعتبارها معجزة بين القوم، وكان قتلها اعلان حرب على النبي صالح عليه السلام.

هذا ويلاحظ أن قاتل الناقة شخص واحد أشارت إليه الآية:

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾.

بينما نسب العقر إلى قوم ثمود جميعاً ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، وهذا يعني أن كل هؤلاء القوم كانوا مشاركين في الجريمة؛ وذلك لأن هذه الجريمة تمّت برضا القوم فهم شركاء في الجريمة بهذا الرضا.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

«إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمَّهم الله بالعذاب لمَّا عموه بالرضا، فقال سبحانه: ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾».



أسئلة حول الدرس

١ ـ ماذا يراد من تزكية النفس؟

٢ ـ ماذا تعرف عن ناقة نبي الله صالح عليه السلام؟

٣ ـ ما هي المناسبة في ذكر قصة الناقة؟

٤ ـ اقتران النفس مع الأقسام بمظاهر كونية ماذا يعني؟ وما هي أهمية الشمس؟

٥ ـ ما هي الحادثة التاريخية التي تدل على أهمية تهذيب النفس؟



للمطالعة

كلام الإمام الخميني قدس سره حول تزكية النفس

إعلم أنّ الإنسان أعجوبة وله نشأتان وعالمان: نشأة ظاهرية ملكية دنيوية وهي بدنه. ونشأة باطنية غيبية ملكوتيَّة وهي من عالم آخر. ولنفس الإنسان ـ وهي من عالم الغيب والملكوت ـ مقامات ودرجات قسَّموها بصورة عامة إلى سبعة أقسام حيناً. وإلى أربعة أقسام حيناً آخر وحيناً إلى ثلاثة أقسام وحيناً إلى قسمين ولكل من المقامات والدرجات جنود رحمانية وعقلانية تجذب النفس نحو الملكوت الأعلى وتدعوها إلى السعادة. وجنود شيطانية وجهلانية تجذب النفس نحو الملكوت السفلي وتدعوها للشقاء. ودائماً هناك جدال ونزاع بين هذين المعسكرين، والإنسان هو ساحة حربهما، فإذا تغلبت جنود الرحمن كان الإنسان من أهل السعادة والرحمة وانخرط في سلك الملائكة وحشر في زمرة الأنبياء والأولياء والصالحين.

وأما إذا تغلب جند الشيطان ومعسكر الجهل، كان الإنسان من أهل الشقاء والغضب، وحشر في زمرة الشياطين والكفار والمحرومين.

إعلم أنَّ مقام النفس الأول ومنزلها الأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما. وفي هذا المقام تتألق الأشعة والأنوار الغيبية في هذا الجسد المادي والهيكل الظاهري، وتمنحه الحياة العرضية، وتجهز فيه الجيوش، فكأنّ ميدان المعركة هو نفس هذا الجسد. وجنوده هي قواه الظاهرية التي وجدت في الأقاليم الملكية السبعة يعني: «الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل»، وجميع هذه القوى المتوزعة في تلك الأقاليم السبعة هي تحت تصرف النفس في مقام الوهم، فالوهم سلطان جميع القوى الظاهرية والباطنية للنفس، فإذا تحكم الوهم على تلك القوى سواء بذاته ـ مستقلاً ـ أو بتدخل الشيطان، جعلها ـ أي تلك القوى ـ جنوداً للشيطان، وبذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان، وتضمحل عندها جنود الرحمن والعقل. وتنهزم وتخرج من نشأة الملك وعالم الإنسان وتهاجر عنه. وتصبح هذه المملكة خاصة بالشيطان. وأما إذا خضع الوهم لحكم العقل وكلاهما خضعا لحكم الشرع وكانت حركاتهما وسكناتهما مقيدة

بالنظام والعقل والشرع، فقد أصبحت هذه المملكة مملكة روحانية وعقلانية، ولم يجد الشيطان وجنوده محط قدم لهم فيها.

إذاً؛ فجهاد النفس (وهو الجهاد الأكبر الذي يعلو على القتل في سبيل الحق تعالى) هو في هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قوا الظاهرية، وجعلها تأتمر بأمر الخالق، وتطهير المملكة من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده[1]...

(١) الأربعون حديثاً، ص٢٩.



سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **يغشى:** يغطّي.

٢ ـ **تجلى:** ظهر.

٣ ـ **شتى:** مختلف ومتنوع.

٤ ـ **اليسرى:** العمل الصالح.

٥ ـ **استغنى:** طلب الغنى.

٦ ـ **العسرى:** التعب والنصب الشقاء.

٧ ـ **يغني:** يقي ويحمي.

٨ ـ **تردى:** هلك وسقط في العذاب.

٩ ـ **تلظى:** تشتعل وتتوهج.

١٠ ـ **يتزكى:** يتطهر.

٢ ـ هوية السورة:

ـ هذه السورة مكية، وعدد آياتها إحدى وعشرون آية.

سبب النزول:

قيل في سبب نزولها أن هذه السورة في رجل كان له نخل كثير. ومن تلك الأشجار نخلة مائلة تطل بفرعها على بيت فقير ذي عيال. فكان الرجل يمنع عياله (الفقير) من أخذ ما يسقط من النخلة في الدار وإذا أكل أحدهم شيئاً منها أدخل إصبعه في فيه وأخرجه. فشكا الفقير إلى النبي ﷺ. فعرض النبي على الرجل أن يعطيه إياه مقابل نخلة في الجنة فرفض. إلا أن أحد المؤمنين اشتراه منه بأربعين نخلة وقام بإعطاء تلك النخلة للنبي ﷺ الذي بادر إلى بيت الفقير ليعلمه بأن النخلة أصبحت ملكه. فأنزل الله هذه السورة[1].

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة تحمل كل خصائص السور المكية من قِصَر في الآيات، وحرارة في طرح المحتوى، وتركز أساساً على القيامة وعلى ما في ذلك اليوم من جزاء وعقاب.

بعد القسم بثلاث ظواهر في بداية السورة يأتي تقسيم الناس إلى منفقين متّقين، وبخلاء منكرين. وتذكر عاقبة كل مجموعة: اليسرُ والسعادة والهناء للمجموعة الأولى، والعسرُ والضنك والشقاء للمجموعة الثانية.

وفي مقطع آخر من السورة إشارة إلى أن الهداية على الله سبحانه، وأنه تعالى أنذرهم من نار جهنم.

ثم تذكر السورة في نهايتها من يدخل هذه النار ومن ينجو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين.

في فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

«من قرأها أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه من العسر ويسّر له اليسر»[2].

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٤٩٩.

في كنف السورة:

في هذه السورة المباركة استفادات عديدة:

١ ـ **أنها كما السورة السابقة «سورة الشمس»** تحفِّز العقل والتفكير الإنساني على النظر والتأمل في الظواهر الكونية، ولا يمرُّ عليها مروراً لا فائدة فيه.

فإن من المعروف أن الشيء الذي تراه دائماً يفقد الاهتمام والاعتناء، فالشمس مثلاً الناس يمرّوون عليها ولا يعرفون قيمتها لأنها دائماً في وجههم، وكذا الليل والنهار، فلذلك اعتادوا على هذه الظواهر ولم يعيروها التأمُّل، مع ما تحمل لهم ولاستقرارهم على الأرض من أهميّة.

كما أن هذه السورة كغيرها من السور التي تأتي على ذكر الظواهر الكونية تريد للإنسان أن ينظر إلى أبعد من أفق ذاته، ولا يحشر نفسه في محدوديتها، وبذلك تكون نظرته شمولية للكون، فيتّسع أفق تفكيره ويكبر.

كما أن التفكر في عظمة الظواهر الكونية «**المعلول، المخلوق**» يدلُّنا على عظمة موجدها «**العلة، الخالق**»، وبذلك تنتعش النفس الإنسانية بالإيمان والتقوى والصلاح والطمأنينة.

٢ ـ الذكر والأنثى:

السورة المباركة أيضاً تُلفت إلى إزدواجية الحياة الإنسانية، وأن هناك أنثى وذكر، رجل وامرأة، ولكلٍّ منهما قيمته عند الله، فلولا الرجل ما كانت المرأة، ولولا المرأة ما كان الرجل، ولا عمرت الأرض بسكّانها. فالمرأة والرجل شريكان في هذه الحياة، وعلى كلٍّ منهما أن يقوم بدوره وأن يأخذ حقّه ويعطي الحق للآخر.

والمراجع للتاريخ يرى أن الإنسانية ظلمت المرأة عند كل مفصل تبتعد فيه عن الرسائل الإلهية.

فمثلاً عند عرب الجاهلية لم يكن للمرأة وزناً، وكانت لا ترث، وزواجها يرجع إلى أمر وليها من دون أن يكون لها حق الاعتراض ولا المشورة. حتى أن الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج.

وكانت المرأة تمنع من الزواج إلا من قريبها لوجود حقّ الدم عليها وكانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد ذكر، ويغتمون إذا ولد لهم أنثى، إلى حدٍّ وأد البنات ودفنها حيّة، كما يذكر القرآن الكريم في عدّة آيات:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1].

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[2].

ففي التوراة المحرّفة: «درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمته وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود،... رجلاً واحداً بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أُولئك لم أجد».

ولم ينحصر الظلم بعرب الجاهلية بل حتى بعض الفلاسفة، ظلموا المرأة بآرائهم، يقول الفيلسوف «روسّو»: «إن المرأة لم تخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفن ولا للسياسة، وإنما خلقت لتكون أمّاً تغذي أطفالها بلبنها».

هذا كله بخلاف الإسلام الذي رفع من قيمة المرأة وعرّفها حقيقتها وأكّد مسؤوليتها كما الرجل، في كثير من آيات القرآن، ومنها هذه الآيات:

﴿ وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتّى * فأمّا من أعطى واتقى ﴾.

كل ذلك يشمل الذكر والأنثى، فكلاهما مسؤول وكلاهما مثاب أو معاقب.

لذلك يقول تعالى مؤكّداً مسؤولية المرأة، وقدرتها على التكامل الإنساني كما الرجل:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى هذه الحقيقة.

(١) سورة النحل، الآية/٥٨.

(٢) سورة التكوير، الآيتان/ ٨ ـ ٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية/٣٥.

٣ ـ الهداية والإرادة:

فقوله تعالى:

﴿ إن سعيكم لشتى ﴾.

يشير إلى حريّة الإرادة الإنسانية ـ ذكراً كان أو أنثى ـ وكون الإنسان مريداً مختاراً للطريق الذي يسلكه إما التقى فالجنة وإما التكذيب لله ورسوله فالنار.

ثم أن قوله تعالى:

﴿ إن علينا للهدى ﴾.

إشارة إلى أن الله تعالى لم يترك الإنسان دون أن يعطيه سبل الهداية، حيث خلقه عاقلاً مختاراً، وأرسل له الرسل وأنزل الكتب الإلهية: لا سيما خاتم الرسل محمد ﷺ، وخاتمة الرسالات الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم.



أسئلة حول الدرس

١ ـ ما معنى قوله سبحانه: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾؟

٢ ـ تتحدث السورة عن مجموعتين من الناس تحدث عنهما تفصيلاً؟

٣ ـ فسّر قوله تعالى: ﴿ وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى ﴾؟

٤ ـ كيف تصوِّر وضع المرأة تاريخياً، وماذا فعل الإسلام لها؟

٥ ـ كيف تستفيد من السورة الهداية والإرادة؟



للمطالعة

روي عن ابن عباس في نزول هذه السورة:

«أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فيه أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة.

فقال له النبي ﷺ: إذهب.

ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟

فقال له الرجل: إن لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلة أعجب إليّ تمرة منها

قال: ثم ذهب الرجل.

فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ: يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتا؟

قال ﷺ: نعم.

فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له: أشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وإن لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إليّ تمرة منها؟

فقال له الآخر: أتريد بيعها؟

فقال: لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى.

قال: فما مُناك؟

قال: أربعون نخلة.

فقال الرجل: جئت بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟!

ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة.

فقال له: أَشْهِدْ إن كنت صادقاً.

فمرّ إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن النخلة صارت في ملكي، فهي لك.

فذهب رسول اللَّه ﷺ إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك لعيالك. فأنزل اللَّه تعالى:

﴿ والليل إذا يغشى... ﴾»[1].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.



سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **نشرح:** نبسط.

٢ ـ **الوزر:** الحمل الثقيل.

٣ ـ **انقض:** أثقل ـ كسر.

٤ ـ **العسر:** الشدة والضيق.

٥ ـ **اليسر:** الراحة.

٦ ـ **النصب:** التعب.

٢ ـ هوية السورة:

ـ نزلت هذه السورة في مكة: عدد آياتها ثمانية.

محتوى السورة وفضيلتها:

المعروف أنّ هذه السورة نزلت بعد سورة «**الضحى**» ومحتواها يؤيد ذلك، لأنّها تسرد أيضاً قسماً من الهبات الإلهية لرسوله الأكرم ﷺ.

في سورة الضحى عرض لثلاث هبات إلهية بعضها مادية وبعضها معنوية، وفي هذه السورة ذكر لثلاث هبات أيضاً غير أن جميعها معنوية. وتدور السورة بشكل عام حول ثلاثة محاور:

الأول: بيان النعم الثلاث.

الثاني: تبشير النبي بزوال العقبات أمام دعوته.

والآخر: الترغيب في عبادة الله الواحد الأحد.

ولذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدّل أنّ هاتين السورتين سورة واحدة كما ذكرنا، ووجب قراءتهما معاً في الصلاة لوجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد.

وبشأن مكان نزول السورة، يتبيّن أنها نزلت في مكة، ولكن آية:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾.

حدت بالبعض إلى الاعتقاد أنّها نزلت في المدينة، حيث ارتفع ذكر النبي ﷺ وشاع صيته في كل مكان، وليس هذا الدليل بتام، لأنّ النبي الأكرم ﷺ ذاع صيته قبل الهجرة رغم كل العقبات والمشاكل وكان الحديث عن دعوته على الألسن في جميع المحافل، كما إن خبر الدعوة انتشر في الحجاز عامة والمدينة خاصة من خلال الوافدين على مكة في موسم الحج.

في فضيلة هذه السورة ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال:

«من قرأها أعطى من الأجر كمن لقي محمداً مغتماً ففرج عنه»[1].

في كنف السورة:

السورة المباركة فيها العديد من الاستفادات منها:

١ ـ شرح الصدر:

مسألة شرح الصدر وردت في العديد من الآيات القرآنية، ففي سورة الأنعام، الآية/١٢٥، قال تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء ﴾.

وفي سورة النحل، الآية/١٠٦، قال تعالى:

﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٧.

وفي سورة طه، الآية/٢٥، بخصوص دعاء النبي موسى عليه السلام قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

وفي سورة الزمر، الآية/٢٢، قال تعالى:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

وفي هذه السورة (الانشراح):

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

وهنا نقف على بعض استفادات هذه الآيات:

أ ـ الهداية وشرح الصدر في الإسلام:

فآية الأنعام/١٢٥، وآية الزمر/٢٢، تشيران بوضوح أن اللّه يهدي وينير طريق من شرح صدره للإسلام وآمن بعقيدته (باللّه تعالى وبالأنبياء ومنهم رسول اللّه ﷺ واليوم الآخر يوم الجزاء)، أما من شرح صدره للكفر (النحل/١٠٦)، وضلَّ عن الإسلام فهو ضيِّق الصدر.

وهذه حقيقة ترونها بوضوح إذا قارنتم بين المسلم الذي شرح صدره للإسلام بكل تعاليمه، وبين الكافر أو المنافق أو الفاسق الذين أقفلوا صدورهم عن الإسلام.

فالصنف الأوّل، منشرح الصدر والعقل، مطمئن الروح، مستقر النفس، والصنف الثاني، ضيق الصدر والفكر، قلق الروح، خائف النفس، وهذه حقيقة لا شك فيها.

ولا نريد أن نأتي بتقارير عن المأزق والضيق الروحي والنفسي والعقلي والحياتي الذي يعيش فيه الصنف الثاني، فالتقارير كثيرة تملأ صفحات الجرائد والمجلات، فهذا يقتل، وذاك ينتحر، وآخر مريض نفسيّاً في المصحّات، إلى آخر الأوبئة الفردية والاجتماعية.

ب ـ المقصود من «الصدر»:

هنا هو الروح والفكر، وهذه الكناية ترد كثيراً، والمقصود من «الشرح» هو اتساع الروح وارتفاع الفكر وانفساح أفق العقل البشري، لأن تقبّل الحق يستدعي التنازل عن الكثير من المصالح الشخصية، مما لا يقدر عليه إلا ذوو الأرواح العالية والأفكار السامية.

ج ـ معجزة قرآنية علمية:

ثبت اليوم علمياً أن الهواء المحيط بالأرض مضغوط وصالح لتنفس الإنسان، ولكننا

كلما ارتفعنا قلّت كثافة الهواء ونسبة وجود الأوكسجين فيه، بحيث أننا إذا ارتفعنا بضع كيلومترات أصبح من الصعب أن نتنفّس بسهولة (بغير قناة الأوكسجين)، وإذا ما واصلنا صعودنا ازداد ضيق تنفسنا وأصبنا بالاغماء، إن ذكر هذا التشبيه في سورة (الأنعام/١٢٥)، وفي زمن نزول القرآن، قبل أن تثبت هذه الحقيقة العلمية يعتبر واحدة من معجزات القرآن العلمية.

د ـ في خصوص الآية «ألم نشرح لك صدرك» في سورة الانشراح:

بعد أن عرفنا أهمية شرح الصدر للإسلام، ومدى ضرورتها للإنسان المسلم لهدايته وارتقائه الفكري والمعنوي، نعلم مدى أهميّة ذلك للأنبياء والرسل؛ حيث كلّما كان دور الإنسان أعظم كانت الحاجة إلى شرح الصدر أعظم.

لذلك نرى النبي موسى عليه السلام يدعو ربَّه، عندما أمره بالذهاب إلى فرعون «ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري».

فلا يمكن لقائد كبير أن يجابه العقبات دون انشراح الصدر، ومن كانت رسالته أعظم (كرسالة النبي ﷺ) كانت الضرورة لشرح صدره أكبر، كي يبلِّغ الناس رسالة اللَّه بفكر واسع، وروح شجاعة صابرة؛ كي لا تزعزعه الأزمات، ولا تثني عزمه الصعاب، ولا تبعث مكائد الأعداء اليأس في نفسه.

والمتمعن في حياة الأنبياء وخاصة رسول اللَّه ﷺ الذي قال:

«ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

يرى مدى تحملهم لأقوامهم وصبرهم على آذاهم.

٢ ـ رفع الذكر:

يفهم كثير من الناس الإسلام فهماً خاطئاً. فمثلاً: البعض يحسب أن الإسلام يحبس الإنسان في ذاته، ويكبت طموحاته حتى ولو كانت شريفة، ولا يرضى للإنسان أن يكون مشهوراً بالمطلق: هذه النظرة تنفيها العديد من الآيات ومنها هذه الآية، حيث عدّ اللَّه من النعم على رسول اللّه «رفع الذكر» الذي يعني الاشتهار بالذكر المرتفع الحسن.

فلا ضير أن يكون المؤمن مشهوراً بالفكر الواسع، والأخلاق الحسنة، والفضائل الكريمة، طالما أنها في رضا الله لا رضا الذّات.

فهذا محمد ﷺ الفقير اليتيم أصبح رسول الله، فاسمه مع الإسلام والقرآن قد ملأ الآفاق، وأكثر من ذلك اقترن اسمه باسم الله سبحانه في الآذان يرفع صباح مساء على المآذن، والشهادة برسالته لا تنفك عن الشهادة بتوحيد الله...

وفي الفضائل والمكارم والذكر الحسن فليتنافس المتنافسون.

٣ ـ مع العسر يسراً:

هذه الحقيقة ينبغي أن تظل في القلوب، خاصة عند الضيق والمشاكل والمتاعب والفقر، لقد أكّد الله تعالى هذه الحقيقة مرّتين، فلن يبقى الفرد ولا الأمة على حالة الضيق، فإن مع الضيق سعة، ومع الفقر غنى، ومع الشدّة فرج، وهذا ما نتعلمه من حياة رسول الله والمسلمين الأوائل الذين كانوا في أشد ضيق، من الحصار الاجتماعي والاقتصادي والنفسي، فأشرق الفرج من بعد العسر.

فالآية تؤكّد صفة التفاؤل في نفس المؤمن، وتبعد عنه هواجس التشاؤم والقلق.

٤ ـ العمل الدائم والاعتماد على الله تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾.

ذكر المفسرون لتفسير الآيتين معان:

- إذا فرغت من فريضة الصلاة فادعُ الله واطلب منه ما تريد.
- أو عند فراغك من أمور الدنيا ابدأ بأمور الآخرة والصلاة وعبادة الرب.
- أو عند فراغك من الواجبات توجه إلى المستحبات التي حث الله عليها.
- أو عند فراغك من جهاد الأعداء انهض إلى العبادة.
- أو عند فراغك من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد نفسك.
- أو عند انتهائك من أداء الرسالة انهض لطلب الشفاعة.
- أو ـ كما عن الحسكاني، حيث روى عن الصادق عليه السلام في «شواهد التنزيل» في تفسير الآية: إذا فرغت فانصب علياً بالولاية.

أو ـ كما عن القرطبي في تفسيره ـ حيث روى عن بعضهم أن معنى الآية: إذا فرغت فانصب إماماً يخلفك.

ولكن كل هذه المعاني يجمعها معنى عام، وهدفها أن تحث النبي ـ باعتباره قدوة ـ والمسلمين على عدم الخلود إلى الراحة، وتدعوه إلى السعي والعمل الدائم، اعتماداً واتكالاً على اللّه تعالى.



أسئلة حول الدرس

١ ـ لماذا تكررت الآية ﴿إن مع العسر يسراً﴾ مرتين؟

٢ ـ ما هو المقصود من شرح الصدر؟

٣ ـ اذكر المعجزة القرآنية؟

٤ ـ هل الشهرة مذمومة مطلقاً؟

٥ ـ ما الذي تؤكده آية ﴿مع العسر يسراً﴾؟



للمطالعة

الأشدّ عبادة:

عن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن أبيه، قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجلٍ - وأنا عنده - فقيل له: أصابته الحاجة.

قال: فما يصنع اليوم؟

قيل: في البيت، يعبد ربّه.

قال: فمن أين قوته؟

قيل: من عند بعض إخوانه؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«واللّه لَلّذي يقوته أشدُّ عبادة منه»[1].

الرسول وثعلبة:

إنّ «ثعلبة بن خاطب» - كان من الأنصار - قال للنبي صلى الله عليه وآله: ادعُ اللّه أن يرزقني مالاً. فقال صلى الله عليه وآله:

«يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول اللّه أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده، لو أردتُ أن تسيرَ الجبال معي ذهباً وفضّةً لسارت».

ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول اللّه ادع اللّه أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق، لئن رزقني اللّه مالاً لأعطينَ كلّ ذي حقٍ حقّه.

فقال صلى الله عليه وآله:

«اللّهم ارزق ثعلبة مالاً».

قال: فاتّخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود. فضاقت عليه المدينة. فتنحّى عنها، فنزل

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٨.

وادياً من أوديتها، ثم كثرت نمواً حتى تباعدَ عن المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، وبعث رسول الله ﷺ إليه المصدّق ليأخذ الصدقة، فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلاّ أُخت الجزية، فقال رسول الله ﷺ:

«يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»[1].

العقل:

أثنى قوم بحضرة الرسول الأقدس ﷺ على رجلٍ حتى ذكروا جميع خصال الخير.

فقال رسول الله ﷺ:

«كيف عقل الرجل»؟

فقالوا: يا رسول الله! نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير تسألنا عن عقله؟

فقال ﷺ:

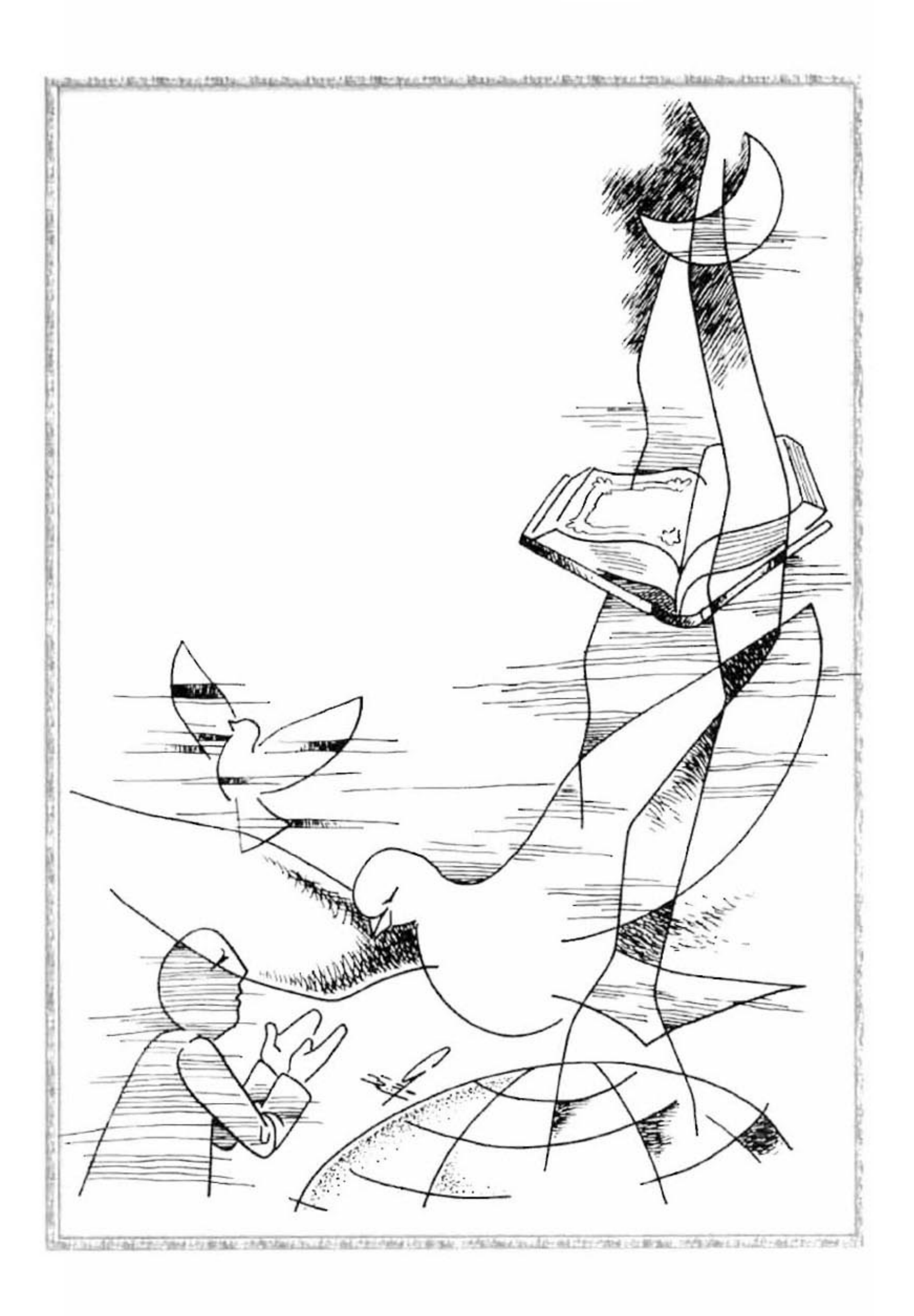
«إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزُلفى من ربهم على قدر عقولهم»[2].

(١) الكافي، ج٥، ص٧٨.

(٢) مجمع البيان، ج٥، ص٥٣.

(٣) تحف العقول، ص٦٦.





سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ . ليلة القدر: هي ليلة يقدِّر الله فيها مصير البشر وتعين بها مقدراتهم.

٢ . الروح: مخلوق عظيم يفوق الملائكة[١].

٢ ـ هوية السورة:

هذه السورة مكية، وآياتها خمسة.

محتوى السورة وفضيلتها:

محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، وبيان أهمية هذه الليلة وبركاتها.

وحول مكان نزولها في مكة أو المدينة، المشهور بين المفسرين أنها مكية واحتمل بعضهم أنها مدنية، لما روي أن النبي ﷺ رأى في منامه «بني أمية» يتسلقون منبره، فصعب ذلك على النبي وآله، فنزلت سورة القدر تسلية (لذلك قيل إن ألف شهر في السورة هي مدة حكم بني أميَّة). ونعلم أن منبر النبي أقيم في مسجد المدينة لا في مكة[٢].

---

(١) وقيل أنه جبرائيل.

(٢) روح المعاني، ج٣٠، ص١٨٨ و«الدر المنثور»، ج٦، ص٣٧١.

لكن المشهور - كما قلنا - أنها مكية، وقد تكون الرواية من قبيل التطبيق لا سبباً في النزول. ويكفي في فضيلة تلاوتها ما روي عن النبي ﷺ قال:

«من قرأها أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر»(١).

وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال:

«من قرأ إنا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله»(٢).

وواضح إن كل هذه الفضائل في التلاوة تزداد وتتأكد لمن يقرأها ويفهمها ويعمل بها... من يقدر القرآن حق قدره ويطبق آياته في حياته.

في كنف السورة:

١ - ليلة القدر والقدر:

في الإسلام العظيم اهتمام ببعض الأمكنة والأزمنة، فلقد جعل بعضها مباركة وفيها خصوصية عن غيرها، فمثلاً بارك المسجد الحرام والكعبة المكرمة والمسجد الأقصى إلى غير ذلك من الأمكنة، وبارك شهر رمضان وجلّل الأشهر الحرم (ذي القعدة ذي الحجة رجب محرّم) وبارك ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن العظيم:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

٢ - وجه التسمية بليلة القدر:

أما بخصوص تسميتها بليلة القدر فقد قيل الكثير في ذلك:

أ - سميت بالقدر لقدر منزلتها وعلو شرفها.

ب - لأن القرآن بكل قدره ومنزلته نزل على الرسول ﷺ بواسطة الملك العظيم في هذه الليلة.

ج - إنها الليلة التي قدّر فيها نزول القرآن.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥١٦.

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥١٦.

د ـ إنها الليلة التي من أحياها نال قدراً ومنزلة.

هـ ـ إنها الليلة التي تنزل فيها الملائكة حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم، لأن القدر جاء بمعنى الضيق، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[1].

و ـ وهو التفسير الأشهر: إنها الليلة التي تعين فيها مقدرات العباد لسنة كاملة، كما يشهد لذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2].

وقد ورد في بعض الروايات: في هذه الليلة تعين مقدرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تفرق وتبين في تلك الليلة المباركة.

وهنا يجرُّنا الحديث إلى معنى القدر:

١ ـ معنى القَدَرْ:

فهل تعني مسألة «القدر» الجبر، كما يرى الجبريون أن الإنسان في أعماله وأقواله وسلوكه ليس مختاراً، أو أن المسألة على العكس من ذلك كما يرى المفوِّضون، حيث يعتقدون بالتفويض أي أن اللّه خلقنا وترك كل شيء بيدنا، ولا يعود أي دخل له في أعمالنا، وبناء على ذلك يكون لنا الحرية الكاملة والاستقلال التام فيما نفعل بلا منازع.

أو أن المسألة ليست جبراً ولا تفويضاً، الصحيح ـ الذي ينسجم مع عدالة اللّه تعالى والإيمان بتوحيده ـ هو هذا، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا جبر ولا تفويض إنما أمر بين أمرين».

وفي ذلك كلام موسَّع نتركه لدروس العقائد، ولكن المسألة المهمّة التي ينبغي طرحها هنا، أن كثيراً من الغربيين استغل قضية «القضاء والقدر» واعتبر أن الاعتقاد بهذه المسألة هي إحدى العلل بل العلّة الأساس في انحطاط المسلمين.

يقول «واشنطن أروفك» في كتابه حياة محمد: «... وقد عدّ بعض المسلمين مذهب

(١) سورة الطلاق، الآية/٧.

(٢) سورة الدخان، الآيتان/٣ ـ ٤.

الجبر القائل بأن الإنسان غير مختار في اجتنابه المعاصي وخلاصه من الجزاء، فلا إرادة له في هذا المجال، عدوّه منافياً للعدل والرحمة الإلهيين، كما وجدت فرق تسعى لتعديل هذا المذهب المحيِّر... وهل هناك عقيدة أفضل من هذه العقيدة تستطيع أن تحرِّك الجنود... ولكن هذه العقيدة كانت تحمل في نفس الوقت سمَّها الزعاف الذي قتل النفوذ الإسلامي...»[١].

ويقول ديورانت: «وهذا الإيمان بالقضاء والقدر جعل الجبريّة من المظاهر الواضحة في التفكير الإسلامي... وبفضل هذه العقيدة لاقى المؤمنون أشد صعاب الحياة بجنان ثابت، ولكنها أيضاً كانت من الأسباب التي عاقت تقدُّم العرب وعطلت تفكيرهم في القرون المتأخرة»[٢].

ولكن نقول أن كلامهم صحيح على القول بالجبرية[٣]، أما من يعتقد اعتقاد أهل البيت عليهم السلام فإنه لا يرد عليه مثل هذا الإشكال.

٢ ـ اللّه لم يقطع الصلة بخلقه (المدد الغيبي):

هذا وفي سورة القدر تأكيد على أن اللّه تعالى لم يخلق الخلق ويتركهم، إنما هناك تواصل بين السماء والأرض، حيث تتنزل الملائكة إلى الأرض ويطّلعون على أحوال الناس، وهذا تسلية لقلوب المؤمنين، فليس الأمر كما قال المفوِّضة، أو كما قال اليهود:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... ﴾[٤].

والآيات في الكتاب الكريم كثيرة، التي تؤكد على أن اللّه عليم بخلقه.

يقول تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[٥].

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[٦].

---

(١) الإنسان والقضاء والقدر، مطهري، ص١٦.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج١٣، ص٥.

(٣) وهو اعتقاد السنّة المتبعين لمذهب الأشاعرة القائل بالجبر.

(٤) سورة المائدة، الآية/٦٤.

(٥) سورة البقرة، الآية/٢٣٥.

(٦) سورة البقرة، الآية/٧٧.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١].

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

إلى غير ذلك الكثير من الآيات التي تؤكد أن الله مطلع على شؤون خلقه، ولم يتركهم، وهذا ما يؤكده الأمر بالدعاء:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٣].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي... ﴾[٤].

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[٥].

وورد في الحديث:

«إذا دعوت فظن حاجتك بالباب»[٦].

وورد في دعاء زين العابدين عليه السلام:

(اللهم إني أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء لديك مترعة، والاستعانة بفضلك لمن أملك مباحة، وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة، واعلم أنك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد اغاثة)[٧].

أسئلة حول الدرس



١ ـ نعرف أن القرآن نزل تدريجياً مدة ٢٣ عاماً، فكيف توفق بين ذلك ونزوله في ليلة واحدة هي ليلة القدر؟

٢ ـ ما المراد بـ(الروح) في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾؟

٣ ـ ما هو القول المشهور في وجه تسمية ليلة القدر؟

٤ ـ ما هي القدر وما هو رأي أهل البيت، واذكر حديث الصادق عليه السلام؟

٥ ـ كيف تصوّر عدم قطع علاقة الله تعالى مع البشر؟

---

(١) سورة لقمان، الآية/٣٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية/١٦.

(٣) سورة غافر، الآية/٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية/١٨٦.

(٥) سورة النمل، الآية/٦٢.

(٦) الكافي، باب اليقيني في الدعاء، ج٢، ح١، ص٤٧٣.

(٧) دعاء أبي حمزة الثمالي (راجع: مفاتيح الجنان: أعمال أسحار شهر رمضان) وللدعاء شروطه وفلسفته، والحديث عن ذلك له مكانه.



للمطالعة

خطبة النبي ﷺ في فضل شهر رمضان وأعماله:

روى الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم، فقال:

أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه، جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس، يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء، في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله (عزَّ وجلَّ) فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه..

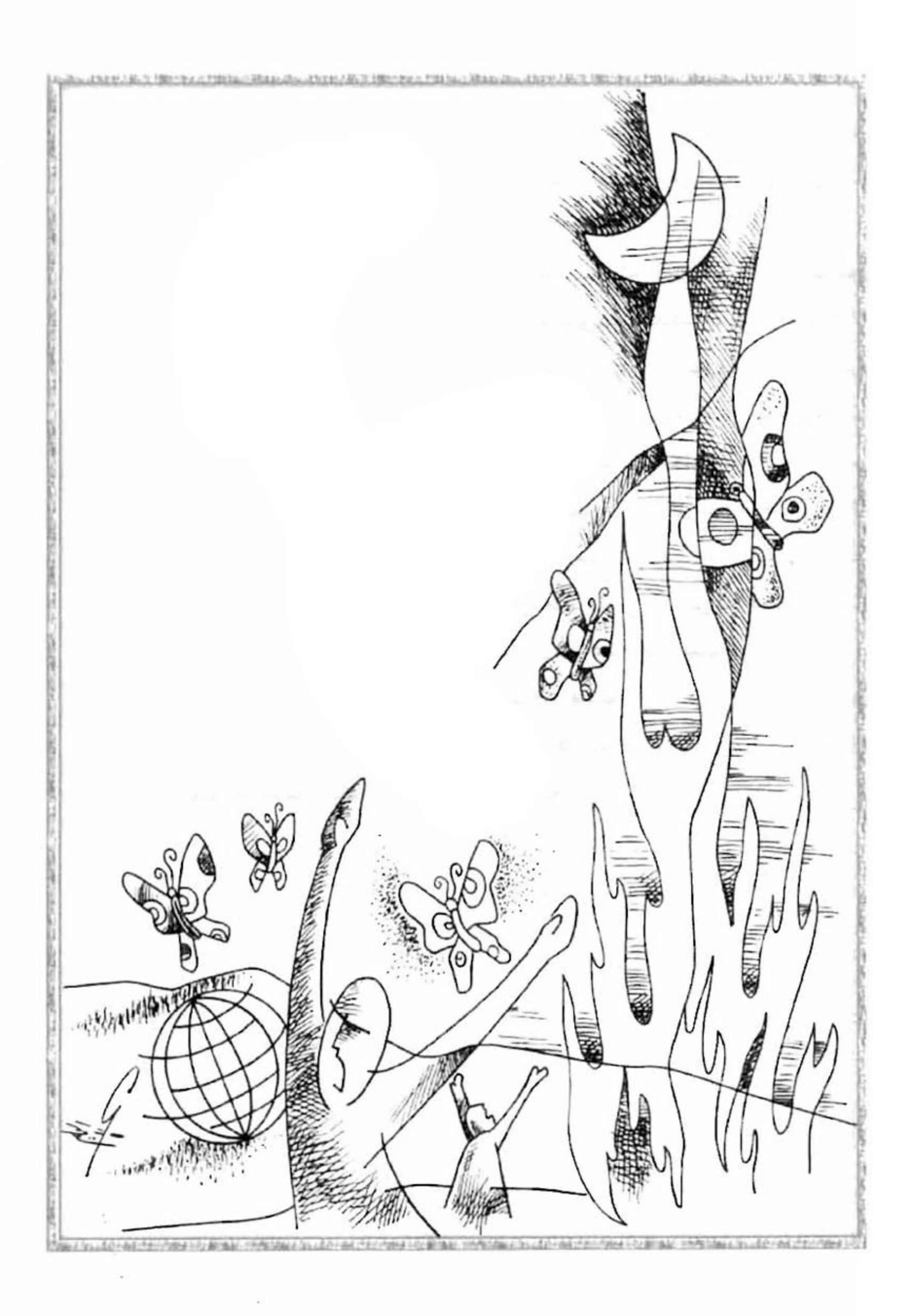
أيها الناس: إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أن الله تعالى ذكره، أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين..

أيها الناس: من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، - قيل يا رسول الله ﷺ وليس كلنا يقدر

على ذلك فـقـال ﷺ ـ اتقـوا النار ولو بشق تمرة، اتقـوا النار ولو بشـربة من مـاء فإن اللّه يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذا لم يقدر على أكثر منه..

يا أيها الناس: من حسن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط، يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه، خفف اللّه عليه حسابه، ومن كف فيه شره، كف اللّه عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه اللّه يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصل اللّه برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه، قطع اللّه عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة، كتب اللّه له براءة من النار، ومن أدى فيه فرضاً، كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليه ثقّل اللّه ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور..

أيها الناس: إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة، فسلوا ربكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة، فسلوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين غلولة، فسلوا ربكم أن لا يسلطها عليكم..».



سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ القارعة: من القرع وهو الطرق الشديد مع إحداث صوت شديد.

٢ ـ الفراش: جمع فراشة وهي الحشرة المعروفة.

٣ ـ المبثوث: المتفرق المنتشر.

٤ ـ العهن: الصوف المصبوغ.

٥ ـ المنفوش: المنثور.

٦ ـ موازين: جمع ميزان وهي وسيلة لوزن الأجسام.

٧ ـ أمه: ماواه وملجأه.

٨ ـ هاوية: جهنم.

٢ ـ هوية السورة:

نزلت هذه السورة في مكة المكرمة وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

محتوى السورة وفضيلتها:

تتناول هذه السورة بشكل عام، المعاد، ومقدماته، بتعابير حادة، وبيان مؤثر. وإنذار صريح وواضح، حيث تصنف الناس يوم القيامة، إلى صنفين أو جماعتين: جماعه تكون أعمالها ثقيلة في ميزان العدل الإلهي فتحظى جزاءً بذلك، حياةً راضية سعيدة في جوار الرحمة الإلهية، وجماعه أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش في نار جهنم الحادة المحرقة.

وقد اشتق اسم هذه السورة، أي «القارعة» من الآية الأولى فيها وفي فضيلتها يكفي أن نقرأ الحديث الشريف المروي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«من قرأ القارعة آمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة إن شاء الله»[1].

في كنف السورة:

١ ـ القرآن واليوم الآخر:

السورة المباركة ككثير من سور القرآن تتحدّث عن مشاهد من يوم القيامة؛ ولو أجلت بصرك في القرآن العظيم لرأيت مدى اهتمامه بقضية اليوم الآخر.

فلقد كُرِّرت الأمور التي تتعلق باليوم الآخر كثيراً؛ فمثلاً يوم القيامة كُرِّر ـ تقريباً ـ ٧٠ مرّة، اليوم الآخر ٢٦ مرّة، الآخرة والدار الآخرة ١١٧ مرّة، جنّة وجنّات ١٤١ مرّة، جهنم ٧٧ مرّة، إلى غير ذلك.

ولقد عني القرآن العظيم بمشاهد القيامة: البعث والحساب، النعيم والعذاب، حتى عاد اليوم الآخر ـ من خلال بلاغة القرآن ـ مصوّراً محسوساً، وحيّاً متحركاً، وبارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهده، وتأثّروا بها، وخفقت قلوبهم واقشعرت جلودهم وسرى في نفوسهم الفزع مرّة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفّ إليهم من النار نسيم، فأصبحوا

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٠.

والنار كمن قد رأوها فهم فيها معذّبون، وباتوا والجنة كمن قد عاينها فهم فيهم منعمون.

وما اهتمام القرآن باليوم الآخر إلا لما يحمله الإيمان باليوم الآخر من أهميّة لحياة الأمم والأفراد، حتى أن القرآن الكريم قرن كثيراً بين الإيمان باللّه واليوم الآخر، مما يشير إلى أن الإيمان باللّه لا يكفي الإنسان (الفرد والأمة) في كماله الروحي وسكينته النفسية وصلاحه الأخلاقي والسلوكي، ما لم يكن يقترن بالإيمان باليوم الآخر.

قول القرآن الكريم:

﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1].

إلى كثير من الآيات التي تقرن الإيمان باللّه مع الإيمان باليوم الآخر.

٢ ـ اليوم الآخر اعتقاد غالب البشرية:

إن المراجع للتاريخ الإنساني، من البدائيين إلى السومريين إلى البابليين إلى الآشوريين فالمصريين فالهنود فالصينيين فاليابانيين فاليونانيين فالرومانيين فالفرس، إلى أن يأتي إلى اليهودية والمسيحية وبالطبع الإسلام، يرى بوضوح أن البشرية تؤمن بيوم آخر؛ وإن اختلفت في التفاصيل؛ وهنا نأتي على ذكر المسيحية في هذا المجال كمثال على اهتمام البشرية بموضوع اليوم الآخر.

٣ ـ المسيحية واليوم الآخر:

لا شك في اعتقاد المسيحية باليوم الآخر فعندها «ملكوت الرب» «والحياة الأبدية»

---

(١) سورة البقرة، الآية/٢٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية/١١٤.

للنعيم. وعندها جهنم والنار، و«الظلمة» للعذاب. وهناك «يوم الدين» يوم يأتي ابن الإنسان (المسيح) مع ملائكة اللّه. وهنا نورد بعضاً مما جاء في العهد الجديد:

ـ جاء في الاصحاح ١٦ من انجيل متى «فإن ابن الإنسان سوف يأتي... مع ملائكته (اللّه)، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم...».

ـ وجاء في الاصحاح ١٢: «أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين». إلى غير ذلك، إلا أنه لا يقارن بعدد ما ورد في القرآن ولا ببلاغته.

٤ ـ الثواب والعقاب:

ورد الكثير في القرآن الكريم حول الثواب والعقاب في اليوم الآخر، ومما ورد ما في هذه السورة المباركة:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾.

ولكن هنا ملاحظة:

صحيح أن الإيمان بالآخرة ـ وبالتالي الثواب والعقاب فيها ـ مهمٌّ وأساسي ولكن إذا لم يتبعه أمور تعطّل فعالية هذا الإيمان.

فمثلاً المسيحية تؤمن بالثواب والعقاب، إلا أنه دخلت أمورٌ عطّلت هذا القانون الإلهي العادل.

من هذه الأمور مسألة «صلب المسيح» وأنه صُلب ليفدي النّاس من الخطيئة، أو مسألة «الاعتراف عند الكاهن» بحيث إذا اعترف المذنب تغفر ذنوبه، أو مسألة «المسح الأخير» حيث يستمع القس إلى اعترافات المسيحي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويمنحه المغفرة التي تنجيه من النار، ويمسحه حتى يطهر من الخطيئة وتصبح مستعدة للبعث أمام الحكم العدل، إلى غير ذلك من المسائل.

هذه المسائل تعطّل قانون الثواب والعقاب، وتشجّع الناس على الخطيئة، وهذا ما نراه في المجتمع المسيحي، أما الإسلام فليس عنده هذه الأمور ولا يؤمن بها، نعم عنده

التوبة والغفران من اللّه والشفاعة، ولكن هذه لا تشبه تلك وإن كان هناك أناس يفهمونها خطأً، حيث يدخل الشيطان وتزييناته والنفس وهواها لكي يسوّف الإنسان بالتوبة إلى آخر العمر، مع أن التوبة في آخر العمر وعند تراكم الذنوب أمر صعب.

وحيث يمنّى الإنسان نفسه بشفاعة الشافعين في حين أنه لم يعرف حقيقة الشفاعة.

ألا تعرف أنه قد لا تشملك شفاعتهم ﷺ لأن الانغمار في المعاصي يجعل القلب بالتدريج مظلماً ومنكوساً وربما يصل الإنسان إلى الكفر، والكافر لا شفاعة له.

ثم ألا تعلم أنه إذا كانت أثقال الذنوب كثيرة يمكن ألا يشفع الشافعون لك في البرزخ والقبر، ويمكن أن لا تصل شفاعتهم في يوم القيامة إلا بعد مدّة طويلة، كما ورد في بعض الأحاديث.

ولا تستمع للشيطان ونفسك الأمارة حيث توعد بالرحمة الواسعة والمغفرة الكريمة لأرحم الراحمين، فتتهاون وتتزلق في المعاصي، في حين أن اللّه رحيم في موضع الرحمة وشديد العقاب في موضع الشدّة، فليس صحيحاً أن ترجو رحمة اللّه فحسب دون أن تخافه وتخشى عقابه، وكما نقرأ في دعاء الإفتتاح:

«أيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موقع النكال والنقمة».

فإذن ينبغي فهم مسألة التوبة وغفران اللّه ورحمته والشفاعة والاستغفار فهماً صحيحاً، وإلا كانت الآخرة والثواب والعقاب لا أثر له.

أسئلة حول الدرس



١ . ماذا تتناول هذه السورة بشكل عام؟

٢ . تصنّف هذه السورة الناس يوم القيامة إلى صنفين تحدث عنهما؟

٣ . هل القارعة اسم للقيامة أو لمقدماتها؟

٤ . هل الإيمان بالآخرة اعتقاد اسلامي فحسب؟

٥ . هل هناك ما يعطّل فعالية الإيمان بالآخرة في الإسلام، وكيف تصوّر ما توهم له ذلك؟



للمطالعة

نقطة هامة:

يقول الإمام الخميني قدس سره:

على سالك طريق الهداية والنجاة الانتباه إلى نقطة هامة، هي أنَّ التوفيق إلى التوبة الصحيحة الكاملة مع توفير شرائطها من الأمور الصعبة، وقليلاً ما يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذا المقصد. بل إن اقتراف الذنوب وخاصة المعاصي الكبيرة يجعلان الإنسان غافلاً عن ذكر التوبة نهائياً. وإذا ما أثمرت وقويت شجرة المعاصي في مزرعة قلب الإنسان وتحكمت جذورها، ستكون لها نتائج وخيمة: منها حثّ الإنسان على الانصراف كلياً عن التفكير في التوبة، وإذا تذكرها أحياناً تكاسل في إجرائها وأجلها وقال: «اليوم أو غداً وهذا الشهر أو الشهر المقبل».

ويخاطب نفسه قائلاً: إنني أتوب آخر العمر وأيام الشيخوخة توبة صحيحة؛ وإنه يغفل عن أن هذا مكر مع الله ﴿والله خير الماكرين﴾ لا يتوقع الإنسان أنه بعد أن تقوى جذور الذنوب في نفسه، يستطيع أن يتوب أو يقوم بتوفير شروط التوبة، إن أفضل أيام التوبة وربيعها هي فترة أيام الشباب. لأن الذنوب أقل وشوائب القلب وظلمات الباطل أخف، وشروط التوبة أسهل وأيسر، وقد يكثر في سن الشيخوخة حرص الإنسان وطمعه وحبه للمال ويزداد طول أمله وقد أثبتت التجربة ذلك.

والحديث النبوي الشريف[1] أفضل شاهد على هذه المقولة.

وإذا افترضنا أن الإنسان يستطيع بهذا العمل (التوبة) في سن الشيخوخة. فما هو الضمان للوصول إلى سن الشيخوخة وعدم إدراكه الأجل المحتوم أيام الشباب على حين غرّة. وهو مشغول بالذنوب والعصيان. إن انخفاض عدد المسنين دليل على أن الموت أقرب إلى الشباب منه إلى الشيخ، إننا في المدينة التي تحتوي على خمسين ألف نسمة لم نجد خمسين شيخاً يناهز عمر كل منهم ثمانين عاماً.

(١) عن رسول الله ﷺ: «يهرم بني آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل»، الخصال، ج١، ص٧٣.

فيا أيها العزيز كن على حذر من مكائد الشيطان ولا تمكر على اللّه ولا تحتال عليه بأن تقول أعيش خمسين عاماً أو أكثر مع الأهواء. ثم أستغفر ربي لدى الموت وأستدرك الماضي، لأنّ هذه أفكار واهية.

إذا سمعت أو علمت من الحديث الشريف أن اللّه سبحانه وتعالى قد تفضّل على هذه الأمة بتقبل توبتهم قبل مشاهدة آثار الموت أو عند الموت وذلك صحيح[1]، ولكن هيهات أن تتحقق التوبة من الإنسان في ذلك الوقت.

هل تظن أنّ التوبة مجرد كلام يقال؟ إن القيام بالتوبة لعمل شاق، إن الرجوع إلى اللّه والعزم على عدم العودة إلى الذنب يحتاج إلى رياضة علمية وعملية، إذ نادراً ما يحدث للإنسان أن يفكر لوحده بالتوبة أو يتوفق إليها أو يتوفق إلى توفير شرائط صحة التوبة وقبولها أو إلى توفير شرائط كمالها. إذ من الممكن أن يدركه الموت قبل التفكير في التوبة أو إنجازها وينقله من هذه النشأة مع المعاصي التي تنوء بالإنسان ومع ظلمات الذنوب اللامتناهية، وفي ذلك الوقت يعلم اللّه وحده المصائب والمحن التي سوف يواجهها.

ليس من السهل أن يجبر الإنسان في العالم الآخر معاصيه، إذ كان من أهل النجاة وممّن عاقبة أمره سعيدة، إذ لا بد من متاعب وضغوطات ونيرانٍ حتى يصبح الإنسان أهلاً لرحمة أرحم الراحمين.

إذاً، أيها العزيز! عجّل في شد حيازيمك، وإحكام عزيمتك وقوتك الحاسمة، وأنت في أيام الشباب أو على قيد الحياة في هذه الدنيا وتب إلى اللّه، ولا تسمح لهذه الفرصة التي أنعم اللّه بها عليك أن تخرج من يدك ولا تعبأ بتسويف الشيطان ومكائد النفس الأمارة.

---

(١) روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثم قال: إن السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال: إن الشهر لكثير. من تاب قبل موته بجمعة، قبل الله توبته. ثم قال: إن الجمعة لكثير. من تاب قبل موته بيوم، قبل الله توبته. ثم قال: إن اليوم لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته». أصول الكافي. ج٢، ص٤٤٠.



سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨ ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **الهاكم**: الإلهاء الصرف إلى اللهو، واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.

٢ ـ **التكاثر**: التفاخر والمباهاة.

٣ ـ **اليقين**: العلم الخالي من الشك.

٤ ـ **عين اليقين**: محض اليقين.

٢ ـ هوية السورة:

هذه السورة مكية وآياتها ثمانية.

محتوى السورة وفضيلتها:

يعتقد كثير من المفكرين أن هذه السورة نزلت في مكة وما فيها من ذكر للتفاخر والتكاثر، إنما يرتبط بقبائل قريش التي كانت تتباهى على بعضها بأمور وهمية.

وبعضهم ـ كالمرحوم الطبرسي في مجمع البيان ـ يرى أنها مدنية؛ وما فيها من ذكر للتفاخر قد ورد بشأن اليهود، أو طائفتين من الأنصار. لكن مكيتها أصح لشبهها الكبير بالسور المكية، هذه السورة تتناول في مجموعها تفاخر الأفراد على بعضهم، استناداً إلى

مسائل موهومة وتذم ذلك وتلومهم عليه ثم تحذرهم من حساب المعاد وعذاب جهنم ومما سيسألون يوم ذاك عن النعم التي منَّ الله بها عليهم، اسم السورة... من الآية الأولى فيها.

وفي فضيلة تلاوتها ورد عن رسول الله ﷺ قال:

«من قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[1].

في كنف السورة:

السورة المباركة فيها مواعظ جليلة تستأهل منّا التوقف عندها والتأمل فيها:

١ ـ الإنسان وغفلته عما بعد الدنيا (الإنسان اللاهي والمتكاثر):

لقد ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم تشير إلى أن كثيراً من الناس يعيشون الغفلة عن الآخرة ويستغرقون في الدنيا وغرورها، بحيث يذوبون فيها، فلا ينظرون إلا إليها، فتعمهم عن الحقيقة التي تفيد أن الدنيا ليست نهاية المطاف، إنما هي قنطرة يعبرها الإنسان إلى عالم آخر.

ومن الآيات المعبِّرة التي تشير إلى هذه الحقيقة:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾[2].

هذه الآية الكريمة تؤكّد حقيقة غفلة الإنسان عبر مراحل عمره الخمسة.

حيث في البداية مرحلة الطفولة، والحياة في هذه المرحلة عادة مقترنة بحالة من الغفلة والجهل واللعب.

ثم مرحلة المراهقة حيث يأخذ اللهو مكان اللعب، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان لاهثاً وراء الوسائل والأمور التي تلهيه وتبعده عن الأعمال الجدية.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة الشباب والحيوية والحب والعشق والزينة.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٢.

(٢) سورة الحديد، الآية/٢٠.

وإذا ما تجاوز الإنسان هذه المرحلة فإنه يصل إلى المرحلة الرابعة حيث تنبعث في نفسه إحساسات علو المقام والتفاخر.

وأخيراً يصل إلى المرحلة الخامسة حيث يفكر فيها بزيادة المال والأولاد وما إلى ذلك.

فنرى أن الإنسان غالباً إلا من رحم الله، يعيش الغفلة في مراحل عمره كلها، ولا يترك لله تعالى، ولمعرفة حقائق الوجود، وللتفكير بالمصير النهائي للوجود، أي مجال وأي فسحة.

والآية التي نحن بصدد تفسيرها تعيش في هذا الجو:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾.

وهي تشير أكثر ما تشير إلى المرحلة الخامسة من عمر الإنسان حيث يلهيه جمع الأموال والأولاد والتفاخر بالأنساب والأقوام. ولقد عُرف عن العرب أنهم كانوا يتفاخرون بالأموال والأنساب، ويؤسّسون حياتهم على أسس قبلية، وهذه الآية كأمثالها تريد أن تخرج من النفوس هذه العصبية القبلية، والتفاخر بها وبالحطام.

وهنا لفتة مهمّة من الآية الكريمة، تشير إلى أن الإنسان يستيقظ من غفلته إما حين موته:

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[1].

وإما حين زيارته للمقابر حيث يتذكّر أنه سيموت يوماً ما، فيستيقظ من غفلته شيئاً ما، كما قال رسول الله ﷺ:

«اذكروا هادم اللذات» أي الموت.

وقد احتمل المفسرون معنيين:

١ ـ إنكم ذهبتم إلى المقابر لتستكثروا أنفس قبيلتكم.

---

(١) سورة ق، الآيات/١٩ ـ ٢٢.

٢ - إنكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتى لحظة موتكم ووردكم إلى المقابر.

وللإمام علي عليه السلام كلام بعد أن تلا:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾.

قال:

«ياله أمر ما أبعده، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أي مدّكر وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أو بعديد الهلكى يتكاثرون؟ ترتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً»[1].

فالموت خير واعظ لمن يتعظ، ومن هنا ورد استحباب زيارة القبور، عسى أن يقوم الإنسان من سكر الغفلة، غفلة الدنيا والاستكثار بالأموال والأولاد، والتفاخر بالأحساب والأنساب.

٢ - إشارة إلى عذاب القبر:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

ورد العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى أن الإنسان لا يصبح عدماً بعد موته، بل له حياة أخرى بعد الموت، إنها حياة البرزخ، ومن هذه الآيات:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2].

وذهب بعض المفسرين أن:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

الأولى إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والثانية إلى عذاب القيامة.

في التفسير الكبير للفخر الرازي عن زر بن حبيش قال: كنا في شك من عذاب القبر حتى سألنا علياً فأخبرنا أن هذه الآية دليل على عذاب القبر.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان/٩٩ - ١٠٠.

٣ ـ مراتب اليقين:

من الواضع أن المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان بل البعض منهم لا يطلق عليهم إلا الإسلام وما آمنت قلوبهم:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾[1].

ولذلك ورد العديد من الروايات التي تشير إلى هذه الحقيقة، فقد جعل الإمام الباقر عليه السلام الإيمان أعلى من الإسلام درجة، والتقوى أعلى من الإيمان درجة، واليقين أعلى من التقوى درجة، ثم يقول:

«ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين».

ورغم ما يستفاد من الروايات أن اليقين هو أعلى مراحل الإيمان، فإن له مراتب، وهي ثلاث:

١ ـ علم اليقين: وهو الذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أن هناك ناراً.

٢ ـ عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلاً النار.

٣ ـ حق اليقين ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[2]، وهو كأن يدخل الإنسان النار بنفسه ويحس بحرقتها، وهذه أعلى مراحل اليقين.

٤ ـ السؤال عن النعيم: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[3]: قيل أن النعيم المسؤول عنه وهو نعمة السلامة، وفراغ البال، وقيل: أنه الصحة والسلامة والأمن.

وقيل: الآية تشمل كل هذه النعم.

وروي أن أبا حنيفة سأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام: ما النعيم عندك يا نعمان؟

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

---

(١) سورة الحجرات، الآية/١٤.
(٢) سورة الواقعة، الآية/٩٥.
(٣) سورة التكاثر، الآية/٨.

فقال عليه السلام:

«لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعترته»[1].

من كل هذه الروايات ـ التي يبدو أنها مختلفة في ظاهرها ـ نفهم أن النعيم له معنى واسع جداً يشمل كل المواهب الإلهية المعنوية مثل: الدين والإيمان والإسلام والقرآن والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وأنواع النعم المادية الفردية منها والاجتماعي:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2].



أسئلة حول الدرس

١ ـ ما هو التهديد الإلهي الذي تحتوي عليه السورة؟

٢ ـ ما هي المراحل الخمسة، وكيف يغفل الإنسان فيها؟

٣ ـ كيف يستيقظ الإنسان من غفلته؟

٤ ـ ما هو الذي يشير إلى عذاب القبر؟

٥ ـ اذكر مراتب اليقين؟

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية/٢٤.



للمطالعة

الإمام الخميني قدس سره في بيان نوراني:

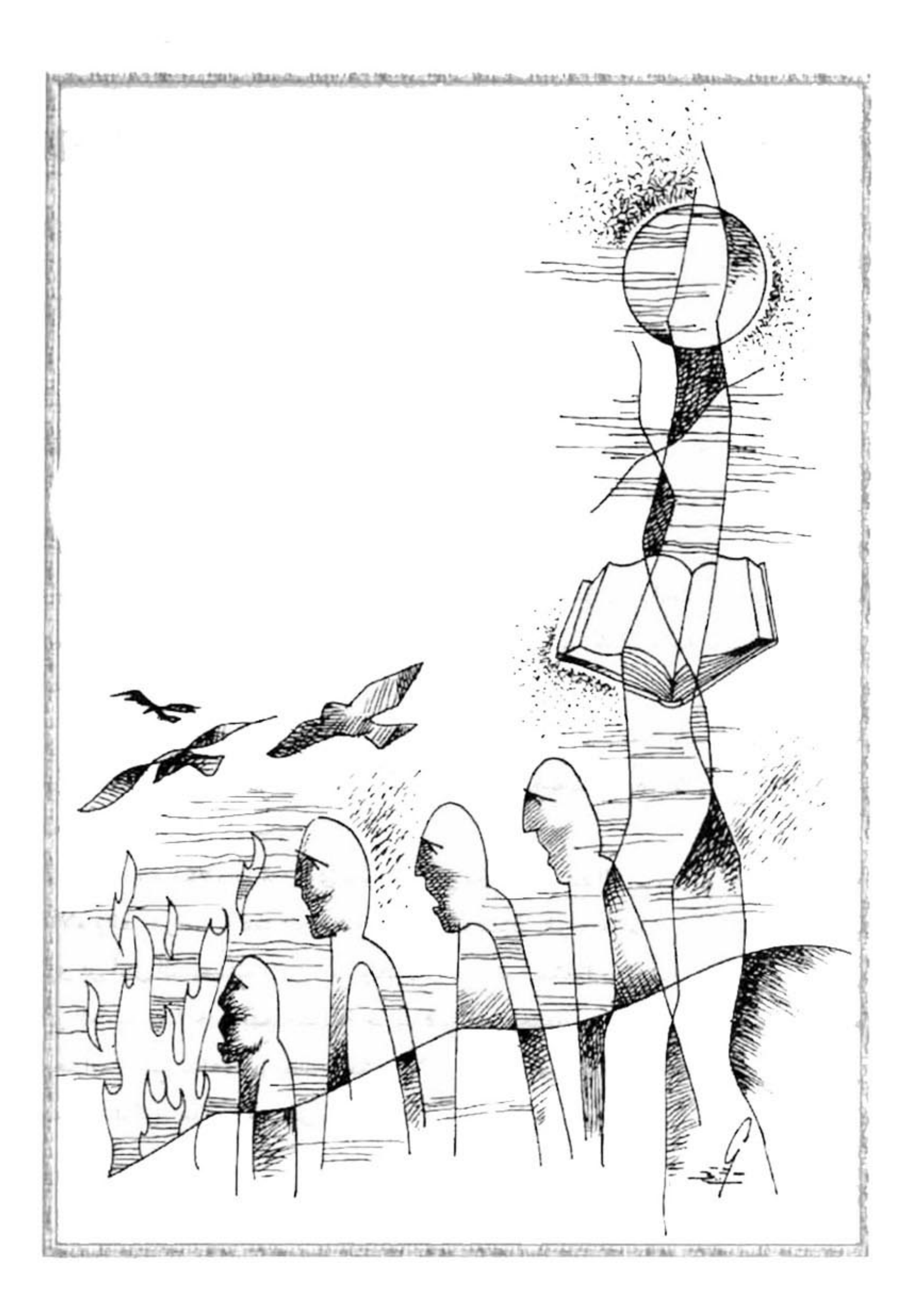
إن الحق المتعالي قد جعل الروّح والراحة في اليقين والرضا والهمّ والحزن في الشك والسخط، وذلك على أساس القسط والعدل.

لا بد وأن تعرف أن الروّح والراحة وكذلك الهم والحزن بسبب ذكر هذه الأمور أثر تقدير الأرزاق وتقسيمها يعودان إلى الأمور الدنيوية وكسب العيش وطلب الرزق، وإن كان إرجاعهما إلى الأمور الأخروية على أساس بيان آخر، أيضاً صحيحاً.

إذن: فاعلم أن الإنسان الذي يعتقد بالحق وتقديره اعتقاداً يقيناً ويعتمد على الركن الركين القادر بصورة مطلقة الذي يقرر الأمور بأسرها على المصالح الغيبية، وأن له سبحانه الرحمة الكاملة المطلقة وأنه الرحيم والجواد المطلق ومن المعلوم أنه مع مثل هذا اليقين تذلل الصعاب وتهون كل المصائب، ويختلف ويختلف كثيراً طلبه لمعيشته عن طلب أهل الدنيا وأهل الشك والشرك.

إن الذين يعتمدون على الأسباب الظاهرية يعيشون دائماً عند طلب الرزق في حالة من القلق والإضطراب ولو اصطدموا بمشكلة، لعظمت عندهم لأنهم لا يجدونها محفوفة بالمصالح الغيبية.

وخلاصة الكلام إن من يرى سعادته، في تحصيل هذه الدنيا. يواجه في طلبه هذه الآلام والعناء وتسلب عنه الراحة والبهجه وتستنزف قواه وطاقاته في هذا الطلب كما نرى أن أهل الدنيا دائماً في تعب ونصب. وأنهم لم يتمتعوا بإطمئنان في روح واستقرار في الجسم وإذا حلّت بهم مصيبة خارت قدراتهم وحيويتهم وزال جلدهم وصبرهم أمام الحوادث التي تداهمهم وهذا لا يكون إلا نتيجة شكهم وعدم إيمانهم بالقضاء الإلهي وعدله. فتكون هذه الأمور من الحزن والهم والتعب نتيجة لهذا التزلزل.



سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **العصر:** هو الطرف الأخير من النهار أو هو الزمان.

٢ ـ **الخاسرون:** الخائبون.

٣ ـ **الحق:** ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة.

١ ـ هوية السورة:

نزلت هذه السورة في مكة، عدد آياتها ثلاثة.

محتوى السورة وفضيلتها:

المعروف أن هذه السورة مكية واحتمل بعضهم أنها مدنية ويشهد على مكيتها لحنها ومقاطعها القصيرة.

بلغت شمولية هذه السورة درجة حدت ببعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كل مفاهيم القرآن وأهدافه بعبارة أخرى: هذه السورة ـ رغم قصيرها ـ تقدم المنهج الجامع والكامل لسعادة الإنسان تبدأ السورة من قسم عميق المحتوى بالعصر. وسيأتي تفسيره.

ثم تتحدث عن خُسران كل أبناء البشر خسراناً قائماً في طبيعة حياتهم التدريجية ثم أستثني مجموعة واحدة من هذا الأصل العام، وهي ذات منهج له أربع مواد: الإيمان،

والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وهذه الأصول الأربعة هي في الواقع المنهج العقائدي والعملي الفردي والاجتماعي للإسلام.

في فضيلة هذه السورة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من قرأ «والعصر» في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنه، قريرة عينه حتى يدخل الجنة»[١].

وواضح أن كل هذه الفضيلة وهذه البشرى نصيب من طبّق الأصول الأربعة المذكورة في حياته، لا أن يقنع فقط بقراءتها.

في كنف السورة:

١ ـ العصر وأهميّة الزمن:

العصر في الأصل الضغط، وإنما أطلق على وقت معين من النهار لأن الاعمال فيه مضغوطة، ثم أطلقت الكلمة على مطلق الزمان ومراحل تاريخ البشرية، أو مقطع زمني معين، كأن نقول عصر الجاهلية أو عصر الإسلام. ولذلك ذكر المفسرون في معنى العصر احتمالات كثيرة:

١ ـ قيل: إنه وقت العصر من النهار.

٢ ـ إنه كل الزمان وتاريخ البشرية المملوء بالدروس والعبر.

٣ ـ إنه مقطع خاص من الزمن مثل عصر البعثة النبوية المباركة، أو عصر قيام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

٤ ـ بعضهم أرجعها إلى أصلها اللغوي وقال: بأن القسم في الآية بأنواع الضغوط والمشاكل التي تواجه الإنسان في حياته، وتبعث فيه الصحوة وتوقظه من رقاده، وتذكره بالله سبحانه، وتربي فيه الاستقامة.

٥ ـ وقيل: أنها إشارة إلى «الإنسان الكامل» الذي هو في الواقع عصارة عالم الوجود والخليقة.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٥.

٦ ـ وقيل: إن الكلمة يراد بها صلاة العصر، لأهميتها الخاصة بين بقية الصلوات، لأنها الصلاة الوسطى التي أمر الله أن يحافظ عليها.

ومهما يكن من شيء، فإن الله سبحانه وتعالى يقسم كثيراً بالزمان، كما في قوله تعالى:

﴿ وَالضُّحَى ﴾.

في سورة الضحى، الآية/١.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾.

في سورة المدثر، الآية/٣٤.

وما تلك الأقسام بالزمان إلا للإشارة إلى أهميَّة الزمان والعُمر في حياة الإنسان، فعليه أن يعرف جيّداً كيف يستغل عمره في الانتفاع لدنياه وآخرته، ولا يقتله في مضرّة دنياه وآخرته. وإذا تطلّع الإنسان إلى الزمان الذي يعيشه لرآه قصيراً جدّاً، إلا أن غفلة الإنسان عن الآخرة، توهمه أنه سيعيش إلى الأبد.

لو عرف الإنسان كيف تتبدّل خلايا جسده، وكيف يستهلك كل يوم آلاف الخلايا من مخه، دون أن يستعيض عنها شيئاً، وكيف يتسارع ما حوله من أشياء في سبيل الفناء.

لو عرف الإنسان أن عمره بالقياس إلى عمر الأرض التي يعيش عليها اليوم يكاد لا يكون شيئاً مذكوراً.

ولو عرف أن العمر الذي فات لا يعود، فما فات فات، واليوم الذي أنت فيه سيفوت.

ولو عرف أنه مسؤول عن هذا العمر الذي سيعيشه:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ:

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل الله (عز وجل) **عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه وعن حبنا أهل البيت»**[2].

(١) سورة الصافات، الآية/٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٨.

لو عرف كل ذلك، لاستغل كلَّ ثانية بل كل جزء ثانية في رضا الله تعالى، ولما خسر عمره.

٢ ـ طول الأمل وخسران العمر:

من المناسب هنا الحديث عن طول الأمل لارتباطه بخسران العمر؛ لأن من يطول أمله ويحسب أنه سيعيش طويلاً سيقع بالتقصير في العمل فيخسر عمره.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[1].

ومما يشير إلى خطورة طول الأمل، كون هذه الصفة من صفات الكافرين، يقول تعالى واصفاً لليهود:

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2].

وقد أوصى أولياء الله بقصر الأمل، يقول رسول الله ﷺ:

«إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من دنياك لآخرتك، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً»[3].

وقال ﷺ بعد ما سمع أن أسامة اشترى شيئاً بمائة دينار إلى شهر:

«إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده! ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفريَّ لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعة حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت. ثم قال ـ يا بني آدم: إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»[4].

ومما يعالج طول الأمل ذكر الموت الايجابي، يقول رسول الله ﷺ:

«أكثروا هادم اللذات».

---

(١) أصول الكافي، حج٢، الإيمان والكفر، باب اتباع الهوى، ح٣.
(٢) سورة البقرة، الآية/٩٦.
(٣) جامع السعادات، النراقي، مج٢، ص٣٥.
(٤) ن.م.

قيل: وما هو يا رسول اللَّه؟

قال ﷺ:

«الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في منعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدّة إلا اتسعت عليه»[1].

وفي ذكر الموت الايجابي أحاديث كثيرة.

«اللهم إني أسألك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار السرور والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»[2].

٣ ـ حتى لا تكون من الخاسرين:

إن السعادة الأخروية (والدنيوية طبعاً) هي في الإيمان باللَّه وبأنبيائه ورسول اللَّه ﷺ وتعاليمه واليوم الآخر والثواب والعقاب، ليس الإيمان فحسب، بل العمل الصالح أيضاً.

لذلك يقول تعالى في سورة أخرى:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[3].

جاء في تفسير مجمع البيان وتفاسير أخرى، أن المسلمين وأهل الكتاب كانوا يتفاخرون بعضهم على بعض، فكان أهل الكتاب يتباهون بكون نبيهم قد بعث قبل نبي الإسلام وأن كتابهم أسبق من كتاب المسلمين، بينما كان المسلمون يفتخرون على أهل الكتاب بأن نبيهم هو خاتم الأنبياء ﷺ، وأن كتابه هو آخر الكتب السماوية وأكملها.

وفي رواية أخرى:

ـ أن اليهود كانوا يدّعون أنهم هم شعب اللَّه المختار، وأن نار جهنم لا تمسهم إلا أياماً معدودة كما ورد في سورة البقرة، الآية/٨٠:

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً... ﴾.

---

(١) ن.م، ص٣٨.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء ليلة ٢٧ من شهر رمضان.

(٣) سورة النساء، الآيتان/١٢٣ ـ ١٢٤.

ـ وأن المسلمين كانوا يقولون، ردّاً على اليهود أنهم هم خير الأمم، لأن اللّه قال في شأنهم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[1].

ولذلك نزلت الآيتان/١٢٣ ـ ١٢٤ من سورة النساء، ودحضت كل تلك الدّعاوى وحدّدت قيمة كل شخص بما يقوم به.

فليست قيمتك ـ أيها المسلم ـ في أنك تنتمي إلى الإسلام على المستوى الإسمي فحسب، إنما قيمتك عند اللّه فيما تعمل في هذه الحياة وتلتزم وتطبق من هذا الإسلام ...»

أسئلة حول الدرس



١ ـ اذكر حديثاً حول فضل هذه السورة؟

٢ ـ كيف تتصوَّر أهمية الزمن؟

٣ ـ اذكر حديثاً يشير إلى خطورة طول الأمل؟

٤ ـ ما هو علاج طول الأمل؟

٥ ـ ماذا يعتقد «لوثر» وما أثر ما يعتقد على مجتمعه؟ وما هي نظرية الإسلام في النجاة الأخروي؟

(١) سورة آل عمران، الآية/١١٠.



للمطالعة

وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام:

كان في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام أن قال:

«**يا علي أوصيك في نفسك بخصالٍ فاحفظها عني**».

ثمَّ قال ﷺ:

«**اللهم أعِنه**»[1].

أما الأولى فالصدق ولا يخرجنَّ من فيك كذبة أبداً.

والثانية الورع ولا تجترئ على خيانةٍ أبداً.

والثالثة الخوف من اللَّه عزَّ ذكره كأنك تراه.

والرابعة كثرة البكاء من خشية اللَّه تعالى يبنى لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة.

والخامسة بذلك مالك ودمك دون دينك.

والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصومي وصدقتي.

أما الصلاة فالخمسون ركعة وأما الصيام فثلاثة أيام في الشهر الخميس في أوله والأربعاء في وسطه والخميس في أخره وأما الصدقة فجهدك حتى تقول قد أسرفت ولم تسرف وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بتلاوة القرآن على كل حالٍ وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما. وعليك بالسواك عند كل وضوء وعليك بمحاسن الأخلاق فارتكبها ومساوئ الأخلاق فاجتنبها فإن لم تفعل فلا تلومَنَّ إلا نفسك.

يقول الإمام الخميني قدس سره في معرض شرحه لهذه الوصية المحمدية:

«**يتضح من نواحي عديدة من هذا الحديث الشريف أن هذه الوصايا التي أوصى بها**

---

(١) روضة الكافي، ص٧٩، الحديث ٣٣.

رسول اللّه ﷺ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كانت عدنه صلوات اللّه وسلامه مهمة جداً وهذه النواحي هي:

إحداها: توجيه الوصية نحو أمير المؤمنين عليه السلام مع أنه سلام اللّه عليه أسمى من أن يتساهل في الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية ولكن هذه الأمور لدى رسول اللّه ﷺ كانت هامة جداً فلم يحجم عن الوصية بها.

ومن المتعارف أن رسول اللّه ﷺ لا يوصي بشيء إلا وقد كان يعتني به ويراه مهماً. فلأجل اظهار أهميته يوصي به حتى لمن يعرف أنه لا يتهاون به.

أما احتمال أنه ﷺ قد أوصى لأمير المؤمنين عليه السلام حتى يفهم الآخرين من قبيل «إياك أعنِي واسمعي يا جارة» فهو بعيد لأن سياق الحديث يشهد بأن الخطاب متوجه نحو الإمام علي عليه السلام وأنه المقصود مباشرة ـ كما يستفاد من كلمة في نفسك و:

«إحفظها».

و«اللهم أعنِه».

ثم إن مثل هذه الوصايا كانت متداولة بين الكبار من الناس وبين الأئمة الأطهار من وصية بعضهم البعض الآخر.

وكان الظاهر من سياق كل واحد من مثل هذه العبارات التي وردت من إمام لإمام آخر عليه السلام هو الإمام المخاطب بنفسه.

كما ورد في إحدى وصايا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى ولديه الحسن والإمام الحسين عليهما السلام:

«أوصيكما وأهل بيتي ومن بلغه كتابي».

ومن المعلوم أن الحسنين عليهما السلام كانا داخلين في هذه الوصية وتكشف هذه الوصايا عن شدة اهتمام وتعلق المعصومين بعضهم ببعض. وعلى أي حال إن كون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً بالوصية يكشف عن عظمة الوصية وأهميتها.

ثانيتها: إن رسول اللّه ﷺ أكد على هذه الوصية بهذا المستوى من التأكيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رغم أنه لن يتجاوز وصية رسول اللّه ﷺ قيد أنملة ولم يبد تجاهها وهناً ولا فتوراً.

ثالثهما: نبه رسول اللهّ ﷺ علياً بعد أن قال:

«يا علي أوصيك».

على أهمية الوصية قائلاً:

«فاحفظها عني».

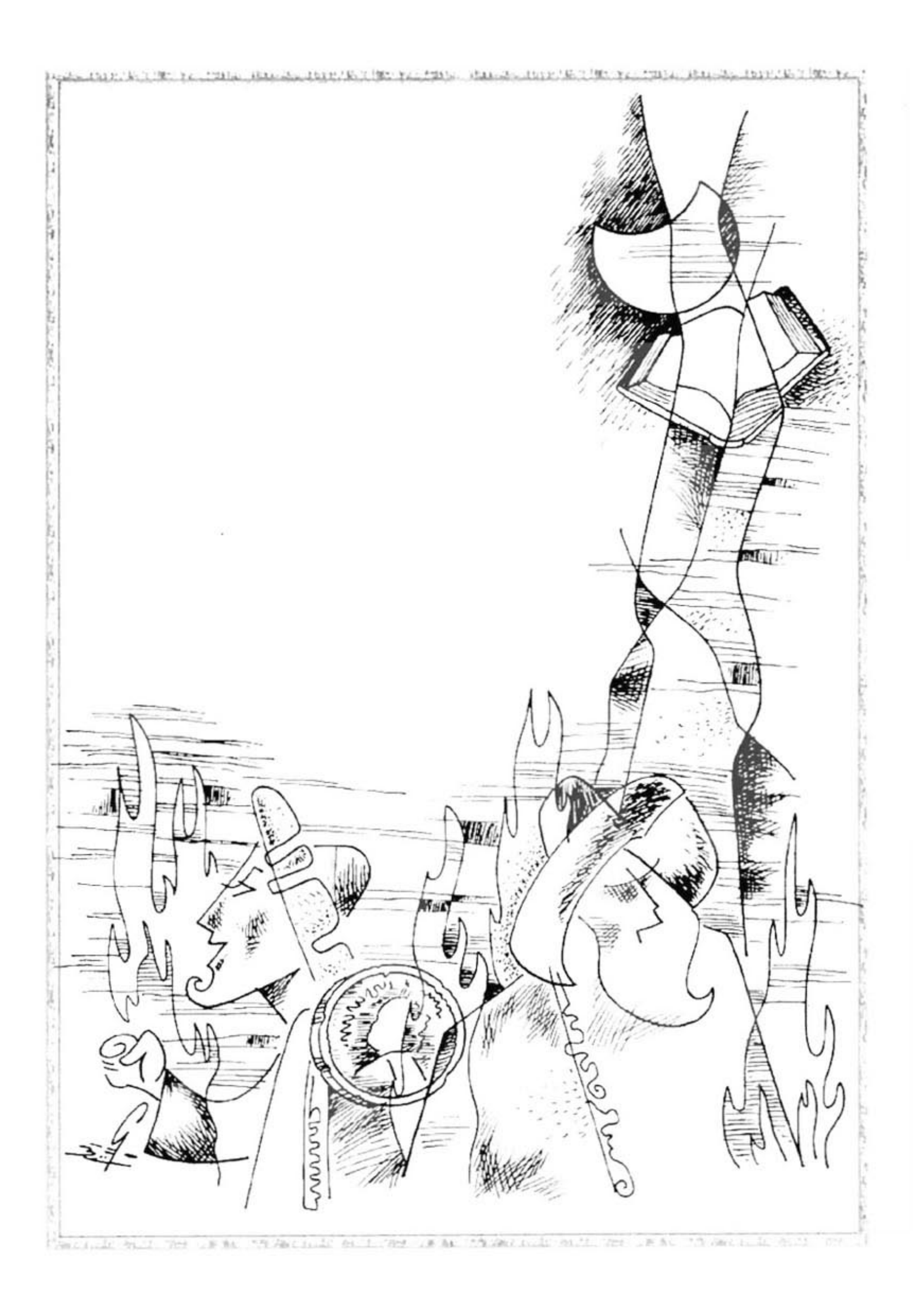
ولما تمنى رسول اللهّ ﷺ أن يأتي بهذه الوصايا المهمة دعا له قائلاً:

«اللهم أعِنه».

وهكذا بقية التأكيدات، التي وردت في كل واحدة من هذه الجمل بصورة مستقلة مثل نون التوكيد. تكرار الوصية وغير ذلك مما لا نحتاج إلى تعداده.

إذن يعلم أن هذه الوصايا من الأمور الهامة ومن الواضح أنه لا يعود في جميع هذه الوصايا بالفائدة على رسول اللهّ ﷺ وإنما تعود المنفعة إلى المخاطب، والإمام عليه السلام وإن كان هو المخاطب بالأصالة ولكن التكاليف عامة ومشتركة بين الجميع، حيث لا تعطل برحيل المخاطب بل إنها متواصلة مع الأجيال.

ولا بدً من معرفة أن شدة تعلق رسول اللهّ ﷺ بالإمام علي عليه السلام تبعث على الفائدة الكبيرة لهذه الوصايا التي بُينتُ بهذا الأسلوب وعلى أهميتها الكثيرة واللهً العالم».



سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **الهمزة**: الذي يعيبك بظهر الغيب.

٢ ـ **اللمزة**: الذي يعيبك في وجهك.

٣ ـ **لينبذن**: ليقذفن.

٤ ـ **الحطمة**: اسم من أسماء جهنم.

٥ ـ **الأفئدة**: القلوب.

٦ ـ **مؤصدة**: مطبقة.

٢ ـ هوية السورة:

وهي تسع آيات، وقد نزلت هذه السورة في مكة المكرمة.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة، وهي من السور المكية، تتحدث عن أناس كرسوا كل همهم لجمع المال، وحصروا كل قيم الإنسان الوجودية في هذا الجمع، ثم هم يسخرون من الذين لا يملكون المال وبهم يستهزئون، ومنهم الوليد بن المغيرة، والأخنس بن شريق، وأمية بن خلف.

هؤلاء الأثرياء المستكبرون والمغرورون المحتالون أسكرهم الطغيان فراحوا يستهينون بالآخرين ويعيبونهم ويتلذذون بما يفعلون من غيبة واستهزاء.

السورة تتحدث في النهاية عن المصير المؤلم الذي ينتظر هؤلاء، وكيف أنهم يلقون في جهنم صاغرين، وأن نار جهنم تتجه بلظاها أولاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بالنار، بنار مستمرة.

وفي فضيلة هذه السورة ورد عن النبي ﷺ قال:

«من قرأ سورة الهمزة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من قرأ ويل لكل همزة في فريضة من فرائض، نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء»[(٢)].

في كنف السورة:

السورة المباركة تورد صفات عديدة لصنف من الناس، هذه الصفات مذمومة؛ لما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

١ ـ الهمز واللمز:

قال في مجمع البيان:

«الهمزة: الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب... واللمز: العيب أيضاً، والهمزة واللمزة بمعنى (واحد).

وقد قيل: بينهما فرق فإن الهمزة: الذي يعيبك بظهر الغيب، واللمزة: الذي يعيبك في وجهك...

وقيل: الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومي بعينه...»[(٣)].

(١) و(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٦.

(٣) نقله عن المجمع، تفسير الميزان، ج٢٠، ص٣٥٨.

ومن مجموع آراء اللغويين في الكلمتين يستفاد أنهما بمعنى واحد، ولهما مفهوم واسع يشمل كل ألوان إلصاق العيوب بالناس وغيبتهم والطعن والبهتان والاستهزاء بهم والذم لهم والنميمة والفتنة، باللسان أو الإشارة.

وفي الحقيقة إن هاتين الصفتين (التي قلنا أنهما بمعنى واحد) وأكثر ما تنبثقان من اللسان، الذي إذا أُسيء استعماله أدّى بالإنسان الفرد والمجتمع إلى عواقب وخيمة.

وهذا ما حذّر منه رسول الله ﷺ، حيث حمّل اللسان من الأوزار والعذاب ما لم يحمّله لغيره من جوارح البدن فقال ﷺ:

«يعذّب الله اللسان بعذاب لا يُعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً؟ فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسُفك بها الدم الحرام وانتهب المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح...»[1].

ولخطورة موقع اللسان في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، وردت الوصاية الكثيرة الإسلامية، لتهذّب هذا اللسان.

فهذا القرآن الكريم يقارن بين الكلمة الطيبة والخبيثة قائلاً:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[2].

وهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في رسالة الحقوق حول حق اللسان:

«وأما حقُّ اللسان فإكرامه عن الخنى[3] وتعويده على الخير وحمله على الأدب وإجمامه[4] إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدُنيا وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يُؤمن ضررها مع قلّة عائدتها

(١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٠٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآيات/٢٤ ـ ٢٦.
(٣) الخنى: الفحش في الكلام.
(٤) إجمامه: إراحته.

وبعدُ شاهد العقل والدليل عليه وتزيّن العامل بعقله حسن سيرته في لسانه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وللسان قبائح منها:

١ ـ الفحش وبذاءة اللسان:

عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إن الفحش والبذاءة والسلاطة من النفاق»[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«إن من أشر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[3].

وقال ﷺ:

«إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك شيطان»[4].

وفي حديث عنه ﷺ:

«إن الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذيء اللسان، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إذا فتشته لم تجده إلى لغية أو شرك شيطان، قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿ .. وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ... ﴾[5]»[6].

٢ ـ الغيبة:

وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، وقد ورد الكثير من النصوص الإسلامية حول قبحه، ويكفيك قول الله تعالى:

﴿ ... وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[7].

---

(١) رسالة الحقوق: حق الإنسان.

(٢) وسائل الشيعة، ج١١، كتاب الجهاد، باب ٧١ من أبواب جهاد النفس، حديث ٢.

(٣) ن.م.ب، ح٨.

(٤) ن.م.ب، ح١.

(٥) سورة الإسراء، الآية/٦٤.

(٦) وسائل الشيعة، ن.م.ج، ح٢.

(٧) سورة الحجرات، الآية/١٢.

٣ ـ البهتان:

وهو ذكرك أخاك بما ليس فيه، وهو أشد قبحاً من الغيبة.

٤ ـ الاستهزاء:

قول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

٥ ـ النميمة والفتنة:

وهي أن تخبر شخصاً خبراً؛ لتفسد علاقته مع أخيه أو صديقه.

٦ ـ الكذب:

وهو الإخبار بغير الواقع.

مما يساعد على تغيير اللسان، العادة، يقول الشاعر: «عوِّد لسانك قول الحق تحظ به إن اللسان لما عوّدت معتاد» ويجمع الجميع صفتا الهمز واللمز، اللذان يكشفان عن باطن خبيث للإنسان الذي يتصف بهما، فالإناء بالذي فيه ينضح، وأكثر ما ترى قبح اللسان في الكافرين.

٢ ـ حب المال:

الصفة الثانية التي ذكرتها الآية الكريمة، حب المال، وهنا نقف قليلاً حول هذه الصفة.

فبشأن المال والثروة، اختلفت وجهات نظر الناس بين إفراط وتفريط، بعضهم أسبغ على المال أهميَّة فائقة فجعله مفتاح حل كل المشاكل، وإلى ذلك ذهب الشاعر في قوله:

فصاحة سليمان وخط ابن مقلة	وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس	فليس له قدر بمقدار درهم

(١) سورة الحجرات، الآية/١١.

ولذلك فإن دأب هؤلاء الأفراد جمع المال، ولا يدخرون وسعاً على هذا الطريق، ولا يتقيّدون بقيد، ولا يهتمون بحلال أو حرام، بهمز أو بلمز، بكذب أو بهتان، المهم عندهم تعداد الأموال؛ وهذه الصفة أكثر ما توجد في الكافرين. ومقابل هذه المجموعة هناك من لا يعير أية أهمية للمال والثروة، يمتدحون الفقر، ويشيدون به، ويرون في المال عائقاً للتقوى والقرب الإلهي، كبعض المتصوِّفة ومن سلك مسلك الرهبانية.

وإزاء ذاك الإفراط وهذا التفريط، يقف الإسلام وسطاً ويبيّن أن المال مطلوب ولكن بشروط:

أولها: أن يكون وسيلة لا غاية.

ثانيها: أن لا يكون الإنسان له أسيراً، بل أن يكون عليه أميراً.

ثالثها: أن يأتي بالطرق المشروعة (لا بالكذب والبهتان، والغش والخداع) وأن ينفق في سبيل رضا اللّه تعالى.

فالرغبة في هذا المال، ليست دائماً دليلاً على حب الدنيا.

٣ ـ توهمٌ باطل:

من الصفات التي ذكرتها الآية الكريمة، أن هذا الصنف من الناس يعيش الأوهام الباطلة، لا الحقائق الناصعة، فيحسب أن المال الذي يجمعه هو الذي سيخلده في الدنيا.

هذا الصنف من الناس حيث لم يلجأ إلى ركن وثيق، إلى خالق الكون، رب العالمين، فإنه يتمسَّك بأي شيء ليوهم نفسه أنه سيعيش إلى الأبد، وما هو بمزحزحه من العذاب:

﴿ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾.



أسئلة حول الدرس

١ ـ ما المراد من الهمزة واللمزة؟

٢ ـ ما هو موقف الإسلام من جمع المال؟

٣ . اذكر حديثاً يشير إلى خطورة اللسان؟

٤ . ما هي شروط جمع المال الصحيح؟

٥ . ما هو التوهُّم الباطل الذي يعيشه محب المال؟



للمطالعة

المفاسد الاجتماعية للغيبة:

يقول الإمام الخميني قدس سره:

«إن هذه المعصية الكبيرة وهذه الجريرة العظيمة، من المفسدات للإيمان والأخلاق والظاهر والباطن ومما تدفع بصاحبها إلى الفضيحة في الدنيا والآخرة. حيث ذكرنا سلفاً في الفصل السابق نبذة يسيرة منها، كذلك تشتمل هذه الرذيلة على مفاسد اجتماعية ونوعية أيضاً، ولهذا يكون فسادها وقبحها أعظم من كثير من المعاصي.

إن من الأهداف الكبيرة للشرائع الإلهية والأنبياء العظام ـ سلام الله عليهم ـ مضافاً إلى كونه ـ الهدف الذي نذكره ـ هدفاً مستقلاً وليس بمجرد أداة وواسطة وإنما هي الوسيلة التي تبعث على إنجاز الأهداف الأساسية الكبيرة. وشرط ضروري لتحقيق المدينة الفاضلة، مضافاً على ذلك، هو توحيد الكلمة وتوحيد العقيدة والاتفاق في الأمور الهامة، والحد من ظلم الجائرين الباعث على فساد بني الإنسان، ولا يتحقق هذا الهدف الكبير المصلح للمجتمع والفرد إلا في ظل وحدة النفوس واتحاد الهمم والتآلف والتآخي، والصداقة القلبية والصفاء الباطني والظاهرة، وتربية أفراد المجتمع على نمط يساهم كلهم في بناء شخص واحد، ويحول المجتمع إلى فرد، ويجعل الأفراد بمنزلة الأعضاء والأجزاء لذلك الفرد وتدار كافة الجهود والمساعي حول الهدف الإلهي الكبير، والأمر الهام العقلي العظيم ـ الوحدة والأخوة ـ الذي فيه مصلحة الفرد والمجتمع، ولو أن مثل هذه الوحدة والأخوة ظهرت في طائفة أو نوع، لتغلبوا على جميع الطوائف والأمم التي لا تحظى بالأخوة والوحدة كما يتضح ذلك من مراجعة التاريخ وخاصة دراسة الحروب الإسلامية وفتوحاته العظيمة، حيث تمتع المسلمون لدى بزوغ القانون الإلهي ـ الإسلام، بشيء من الوحدة والاتحاد، واقترنت مساعيهم بشيء من الخلوص في النية، فحققوا في فترة قصيرة إنجازات عظيمة، وهزموا القوى الجبارة آنذاك المتمثلة في إيران والروم وانتصروا رغم قلة عددهم وعُدتهم على الجيوش المدججة بالسلاح وعلى المجتمعات الكبيرة.

إن نبي الإسلام قد أجرى عقد الأخوة في الأيام الأولى بين المسلمين فسادت الأخوة حسب الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... ﴾[1].

بين جميع المؤمنين.

وفي الكافي عن العزقوفي قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول لأصحابه:

«**إتقو اللّه وكونوا إخوة بررةً في اللّه متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه**»[2].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

«**يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم اللّه** (عز وجل) **﴿ رحماء بينهم ﴾**»[3].

وعنه عليه السلام:

«**تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررةً كما أمركم اللّه عز وجل**»[4].

ومن المعلوم أنه كلما يبعث على ازدياد هذه الصفات، يكون محبوباً ومرغوباً فيه وكلما ينقض هذه الأخوة ويفرط عقد التواصل ويدفع نحو التمزق، يعتبر مبغوضاً عند صاحب الشريعة ومناقضاً لأهدافه الكبيرة. ومن الواضح أن لدى الجميع بأن هذه المعصية الكبيرة الخطيرة ـ الغيبة ـ إذا أشيعت في المجتمع، وغرس شجرة النفاق فيه، وضعضعت وحدة المجتمع وتضامنه، ووهن أساس الديانة، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبائح والفسائد.

فيجب على كل مسلم غيور ملتزم، لصيانة نفسه من الفساد، وأهل دينه من النفاق وللمحافظة على المجتمع الإسلامي ووحدته ولتحكيم عقد الأخوة أن يبتعد عن هذه

---

(١) سورة الحجرات، الآية/١٠.

(٢) أصول الكافي، ج٢ ص١٧٥ «كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف» ح١.

(٣) نفس المصدر، الحديث ١٤.

(٤) نفس المصدر، الحديث ٢.

الرذيلة، ويمنع المغتابين من هذه الموبقة القبيحة، ويتوب إلى اللّه من هذا العمل الكريه، وإذا كان مبتلياً به، ويسترضي من اغتابه. وإذا أمكن من دون أن يفضي إلى مشكلة استحله، وإلا استغفر له وتخلى عن هذه الخطيئة، وأنعش من جديد في قلبه جذور الصداقة والاتحاد، حتى يصبح من الأعضاء الصالحين في المجتمع وينقلب إلى جزء هام في عجلة الإسلام واللّه الهادي إلى سبيل الرشاد.

علاج هذه الموبقة:

اعلم أن معالجة هذه الخطيئة العظيمة وغيرها من الخطايا تكمن في العلم النافع والعمل.

أما العلم النافع فهو أن يفكر الإنسان في الآثار الناجعة التي تترتب على معالجة هذه الموبقة ويقارنها مع المضاعفات السيئة والآثار الشنيعة التي تترتب على الغيبة، ثم يعرض كلا الأمرين على العقل ويستهديه لما فيه الحسن والخير والصلاح.

إن الإنسان لا يعادي نفسه البتة، ولكنه يجترح السيئات من جراء الجهل والغفلة عن بواعثها ونتائجها، أما الفائدة الموهومة فتترتب على تلك المعصية، من إرضاء رغباته النفسية في ذكر مساوىء الناس وكشف عوراتهم دقائق محدودة، ومن تضييع الوقت في ذكر اللطائف اللاذعة والأحاديث الشنيعة المنسجمة مع الطبيعة الحيوانية أو الشيطانية ويلهو في جلسته مع أصدقائه فيشفي غيظه ممن يحسدهم.

وأما آثارها ـ الغيبة ـ القبيحة فقد عرفت قسماً منها في الفصول السابقة وعليك أن تقف على قسم آخر وتتعظ منه، وتأخذه بعين الاعتبار لدى المقارنة بين حسنات الكف عن الغيبة ـ بالمعالجة ـ وسيئات الانهماك فيها. وتنجم عن هذا التفكر والمقارنة، آثار طيبة.

أما آثارها ـ الغيبة ـ الشنيعة في هذا العالم فهو سقوط الإنسان من أعين الناس، وسحب ثقتهم به، إن طبائع الناس مجبولة على حب الكمال والجمال والحسن، والنفور من كل نقص وقبح وانحطاط. وملخَّص الحديث أن الناس يفرقون بين من يتجنّب، هتك أستار الناس وكشف أعراضهم وأسرارهم، وغيره، حتى إن الذي يتولى الغيبة يرى في

نفسه فطرة وعقلاً، الإنسان الذي يكون على حذر من هذه الأمور ـ وهتك أسرار أعراض الناس، فضحه اللّه في هذه الدنيا كما صُرِّح بذلك في حديث إسحاق بن عمار المتقدم[1].

(١) الحديث ١٩، ص٣٣٤ الهامش٢.



سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ(٧) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **الدّع**: الردّ بعنف وجفاء.

٢ ـ **يحضّ**: «الحضّ» الترغيب.

٣ ـ **ساهون**: الناسون.

٤ ـ **الماعون**: كل ما يعين في رفع حاجة من حوائج الحياة.

٢ ـ هوية السورة:

ـ نزلت هذه السورة في مكة[١].

ـ عدد آياتها سبع.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة ـ على رأي أكثر المفسرين ـ مكيّة، ولحنها الذي يتحدَّث عن القيامة وأعمال منكري القيامة بمقاطع قصيرة وقارعة يؤيد ذلك.

---

(١) قيل أنها نزلت في المدينة.

السورة بشكل عام تذكر صفات وأعمال منكري القيامة في خمس مراحل.

فهؤلاء نتيجة لتكذيبهم بذلك اليوم، لا ينفقون في سبيل اللّه وعلى طريق مساعدة اليتامى والمساكين. ثم هم يتساهلون في الصلاة، ويعرضون عن مساعدة المحتاجين.

وفي سبب نزول السورة قيل إنها نزلت في أبي سفيان الذي كان ينحر في اليوم اثنين من الإبل ويطعم أصحابه، ولكن يتيماً جاءه يوماً يطلب منه شيئاً فضربه بعصاه وطرده.

وقيل إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل في العاص بن وائل[١] وفي أبي جهل وكفار قريش[٢].

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال:

«من قرأ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ في فراضه ونوافله قبل اللّه صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا»[٣].

في كنف السورة:

السورة المباركة على صغرها تحمل معاني وأفكاراً ومفاهيم مهمَّة:

١ ـ خطورة التكذيب بالدين:

فسِّر الديِّن ـ وهو التفسير غير المشهور ـ باتباع الملَّة أي ملّة الإسلام العظيم، وفسِّر ـ وهو التفسير المشهور ـ بيوم الدِّين أي يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.

وعلى كلا التفسيرين فإن اللوازم المذكورة للتكذيب بالدين تصح، فالمكذِّب بالإسلام والكافر به، والمكذِّب بالآخرة، كلاهما يحملان صفات روحية وسلوكية قبيحة.

فهناك ارتباط وثيق بين الاعتقاد من جهة والروحية والأخلاق والسلوك من جهة أخرى، فمن لا اعتقاد له باللَّه واليوم الآخر، تلاحظ فيه سلوكيات شاذة منها:

---

(١) الأمثل، ج٢٠، ص٤٣٩.

(٢) الميزان، ج٢٠، ص٣٦٨.

(٣) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٦.

٢ ـ يدع اليتيم:

والدع هو الرد بعنف، وهذا أقصى مراتب قساوة القلب، فلا يكفي الكافر ـ في بعض حالاته ـ من عدم الإحسان إلى اليتيم، بل يترقّى إلى أذيته بردّه بعنف.

أما المسلم المؤمن بالله وبالآخرة فهو بخلاف ذلك إنه رحيم بالأيتام الذين أوصى الإسلام العظيم بهم توصيات كثيرة:

يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾[١]

ويقول سبحانه:

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته قبل موته:

«الله الله في الأيتام فلا تغبُّوا[٣] أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عال يتيماً حتى يستغني عنه أوجب الله عزَّ وجلَّ له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»[٤].

عن أبي الدرداء قال: أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه.

فقال ﷺ:

«أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك»[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية/٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية/١٧٧.

(٣) أغبّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبّاً.

(٤) فروع الكافي، ج٧، ص١١.

(٥) ميزان الحكمة، الري الشهري . مج١٠، ص٧٦٥.

ولقد ذمّ الإسلام آكلي أموال اليتامى:

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1].

عن رسول اللّه ﷺ:

«**شر المآكل أكل مال اليتيم**»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**قال رسول اللّه ﷺ: يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم ناراً فقيل له يا رسول اللّه من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى**»[3].

وبعض الروايات تعلّل حرمة أكل مال اليتيم:

عن الرضا عليه السلام فيما كتب من جواب مسائله:

«**حرّم أكل مال اليتيم لعلل كثيرة من وجوه الفساد.**

أول ذلك إذا أكل مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغن، ولا محتمل لنفسه، ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه، فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة...»[4].

٣ ـ لا يحض على طعام المسكين:

ومن صفات الكافر أنه ليس لديه روح التعاون، فهو لا يحض على طعام المسكين، أي لا يرغّب نفسه أو غيره على إطعام المسكين.

ثم تنتقل السورة إلى صنف من الناس تراهم في المجتمع الإسلامي، ويدّعون الإسلام، إلا أن سلوكهم وأخلاقياتهم، تشابه أخلاق الذي يكذّب بالدّين، وهؤلاء تعرفهم من خلال بعض الصفات:

---

(١) سورة النساء، الآية/١٠.

(٢) ميزان الحكمة، م.س، مج١٠، ص٧٦٦.

(٣) ن.م، ص.

(٤) ميزان الحكمة، م.س، مج١٠، ص٧٦٧.

١ ـ ساهون عن الصلاة مراءون بها:

فهم غافلون عنها لا يهتمون ولا يبالون أن تفوتهم بالكلّية، وبالإضافة للسهو عن الصلاة هناك سهو في الصلاة ينبغي أن يتجنبه المؤمن.

فالسهو في موضوع الصلاة مراتب:

أ ـ تركها كلّية، والمسلم التارك للصلاة كالكافر الذي قطع الصلة بالله تعالى.

ب ـ الصلاة المرائية، وهي صلاة المنافق الذي يصلّي ليوهم الناس أنه مؤمن.

ج ـ التهاون بها وتضييعها وعدم الاهتمام بها، فهو يصلي مرّة ويقطع عشراً.

د ـ عدم الخشوع فيها.

هـ ـ تأخيرها عن أول وقتها.

في تفسير القمي في قوله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾.

قال: نزلت في أبي جهل وكفار قريش، وفي قوله:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾.

قال: عنى به تاركون، لأن كل إنسان يسهو في الصلاة.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«تأخير الصلاة عن أول وقتها لغير عذر»[1].

وفي الخصال عن علي عليه السلام قال:

«ليس عمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من الصلاة فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا فإن الله (عزَّ وجلَّ) ذم أقواماً فقال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها»[2].

وفي الإسلام توصيات كثيرة بالصلاة، فهي عمود الدين، والتي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت رد ما سواها، وأول شيء يسأل العبد عنه يوم القيامة، وهي قربان كل تقي.

---

(١) (٢) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢١، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

«فأما حق الصلاة فإن تعلم أنها وفادة إلى الله وأنك قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرع المعظم من قام بين يديه بالسكون والإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك. ولا قوة إلا بالله»[1].

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن متكلّماً بهذه الكلمات فحسب بل:

«كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض[2] عرقاً».

وفي حديث آخر:

«كان علي بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه»[3].

هذه هي صلاة الأئمة عليهم السلام، صلاتهم ليست كصلاة من روى عنه أبو جعفر عليه السلام حيث يقول:

«بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلي فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ديني»[4].

٢ ـ يمنعون الماعون:

ومن صفات تاركي الصلاة المتهاونين بها، هي صفه منع الماعون، والماعون: «**كل ما**

(١) رسالة الحقوق، للإمام زين العابدين، حق الصلاة.

(٢) يرفض عرقاً: يسيل عرقه ويجري.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦٤.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣، كتاب الصلاة، باب ٨ من أبواب اعداد الفرائض حديث ٢.

يعين الغير في رفع حاجة من حوائج الحياة كالقرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره»[1] إلى غير ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام:

«وقوله (عزّ وجلّ) ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة»[2].

فالمسلم الحقيقي: هو الباذل المعطي الكريم المتصدِّق، هو صاحب روح معطاءة متعاونة، لا شحيحة بخيلة.

أنظروا إلى أئمتكم قدوتكم كيف كانوا إنهم:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[3].

حشرنا اللّه مع أئمتنا، مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والتسعة المعصومين من ذريّة الحسين عليه السلام، وجعلنا اللّه من المقتدين بهم، فمن اقتدى بهم ربح، ومن تخلّف عنهم غرق.

أسئلة حول الدرس



١ ـ اذكر حديثاً حول فضل قراءة هذه السورة؟

٢ ـ ما المراد بقوله ﴿ يَدُعُّ ﴾؟

٣ ـ أذكر آية تدل على أن الاحسان إلى اليتيم من صفات المؤمنين.

٤ ـ كيف يتحقق السهو عن الصلاة؟

٥ ـ ما هي آثار السهو عن الصلاة؟

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص٢٦٨.

(٢) ن.م، ص٢٦٩.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان/٨ ـ ٩.



للمطالعة

ماعون آل محمد ﷺ:

فيما ينقل عن الحسين بن علي والصادق صلوات اللّه عليهما:

«**إنهما كانا يتصدقان بالسُكّر ويقولان إنه أحب الأشياء إلينا وقد قال اللّه تعالى: ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾**»[1].

وفي الحديث عن أبي الطفيل قال: إشترى عليٌّ عليه السلام ثوباً فأعجبه فتصدّق به وقال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«**من آثر على نفسه آثره اللّه يوم القيامة بالجنَّة ومن أحبَّ شيئاً فجعله للّه قال اللّه تعالى يوم القيامة قد كان العباد يُكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنَّة**»[2].

وروي أن أبا طلحة وهو من الأصحاب، قسم حائطاً - بستان - له في أقاربه عند نزول هذه الآية وكان أحب أمواله إليه فقال له رسول اللّه ﷺ:

«**بخٍ بخٍ مالٌ رابح لك**»[3].

واستضاف أبو ذر الغفاري ضيفاً فقال:

للضيف إني مشغول وإنَّ لي إبلاً فاخرج واتني بخيرها.

فذهب فجاء بناقةٍ مهزولة.

فقال له أبو ذر: خُنتني بهذه.

فقال وجدتُ خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه.

فقال أبو ذر: إنَّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضعُ في حُفرتي مع أنَّ اللّه يقول:

﴿**لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مّما تحبون**﴾.

وقال أبو ذر في المال ثلاثة شركاء: القدرُ لا يتسأمِرُك أن يذهب بخيرها أو شرِّها

(١) مجمع البيان، ج٢، ص٤٧٢، طباعة دار احياء التراث العربي.
(٢) مجمع البيان، ج٢، ص٤٧٢، طباعة دار احياء التراث العربي.
(٣) مجمع البيان تفسير الآية ٩٢ من سورة «آل عمران».

من هَلَكَ والوارث ينتظرك أن تضع رأسك ثمَّ يستاقها وأنت ذميم وأنت الثالث فإن استعطت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكُن إنَّ اللّه يقول:

«﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبّون ﴾.

وإن هذا الجمل كان مما أحبُّ من مالي فأحببت أن أقدّمَه لنفسي»[1].

يقول الأمام الخميني (رضوان اللّه عليه) في بيان سرٍّ من أسرار الصدقة:

لا بدَّ وأن نعرف بأن الإنسان قد نشأ وتربّى على حبّ المال والجاه والزخارف الدنيوية وقد انعكس هذا التعلق على قلبه، فتعمَّق فيه وأضحى مصدراً لكثير من المفاسد الخلقية والسلوكية، بل الانحرافات الدينية. كما ورد في أحاديث كثيرة(٢) وأشرنا إلى ذلك في غضون شرحنا لبعض الأحاديث[3]. وعليه إذا استطاع الإنسان بواسطة الصدقات أو الإيثار على النفس أن يستأصل من قلبه هذا التعلّق أو يخفف منه، لتمكن من اجتثاث مادة الفساد ومصدر الأعمال المشينة فترة حياته وفتح أبواب المعارف الإلهية، وعالم الغيب، والملكوت، والملكات الفاضلة، على نفسه، وهذا من الأمور الهامة في الإنفاق المالي الواجب والمتسحبّ وخاصة في الإنفاق المستحب حيث لا بدَّ من الإقلاع عن التعلق بالدنيا حتى يتم البذل، وهو واضح.

إذن يتبين من كافة الأخبار والأحاديث في هذا الموضوع أن الصدقة تشتمل على الفضائل الدنيوية والأخروية حيث ترافق الإنسان من اللحظة الأولى من التصدق فتدفع الشرّ والبلاء عن الإنسان حتى يوم القيامة ومواقفها إلى أن تدخل الإنسان إلى الجنّة وتسكنه جوار الحق سبحانه.

لا بدَّ أن نعرف بأن صدقة السرّ أفضل من الصدقة في العلن، كما ورد في الكافي الشريف بسنده إلى عمار الساباطي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يا عمار الصدقة في السرّ واللّهِ أفضلُ من الصدقة في العلانية وكذلك واللّهِ العبادة في السرِّ أفضل منها في العلانية»[4].

(١) مجمع البيان تفسير الآية ٩٢ من سورة «آل عمران».

(٢) أصول الكافي، ج٢، ص٣١٥ ـ ٣٢٠ «كتاب الإيمان والكفر باب حبّ الدنيا والحرص عليها» الأحاديث ١ ـ ١٧.

(٣) الحديث ٦، ص١٤٦ فصل «في بيان سبب ازدياد حبّ الدنيا».

(٤) فروع الكافي، ج٤، ص٨ «كتاب الزكاة باب فضل صدقة السرّ»، الحديث ٢.



سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **دين الله**: الإسلام.

٢ ـ **أفواجاً**: جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة.

٣ ـ **سبِّح**: نزِّه.

٢ ـ هوية السورة:

نزلت هذه السورة في المدينة وآياتها ثلاث.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة نزلت في المدينة بعد الهجرة، وفيها بشرى النصر العظيم ودخول الناس في دين اللَّه أفواجاً، وتدعو النبي أن يسبح اللَّه وبحمده ويستغفره شكراً على هذه النعمة.

في الإسلام فتوحات كثيرة، ولكن فتحاً بالمواصفات المذكورة في السورة ما كان سوى «فتح مكة»، خاصة وأن العرب ـ كما جاء في الروايات ـ كانت تعتقد أن نبي الإسلام ﷺ لا يستطيع أن يفتح مكة إلا إذا كان على حق... ولو لم يكن على حق فربُّ البيت يمنعه كما منع جيش أبرهة. ولذلك دخل العرب في دين اللَّه بعد فتح مكة أفواجاً.

قيل: إن هذه السورة نزلت بعد «صلح الحديبية» في السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكة.

وما ذكره بعضهم من نزول هذه السورة بعد فتح مكة في السنة العاشرة للهجرة في حجة الوداع بعيد جداً. لأن عبارات السورة لا تنسجم وهذا المعنى، فهي تخبر عن حادثة ترتبط بالمستقبل لا بالماضي.

ومن أسماء هذه السورة «**التوديع**» لأنها تتضمن خبر وفاة النبي ﷺ.

في الرواية أن هذه السورة لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى.

فقال ﷺ: ما يبكيك يا عم؟

فقال: أظن أنه قد نعيت إليك نفسك يا رسول الله.

فقال ﷺ:

«**إنه لكما تقول**»[1].

ظاهر السورة ليس فيه أنباء عن قرب رحلة الرسول ﷺ بل عن الفتح والنصر. فكيف فهم العباس أنها تنعي إلى الرسول نفسه؟

يبدو أن دلالة السورة على اكتمال الرسالة وتثبيت الدين هو الذي أوحى بقرب ارتحال الرسول إلى جوار ربّه.

في فضيلة السورة ورد عن الرسول ﷺ قال:

«**من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة**»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**من قرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ في نافلة أو فريضة نصره الله على جميع أعدائه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره، فيه أمان من حرِّ جهنم...**»[3].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص ٥٥٤. هذه الرواية وردت بألفاظ مختلفة الميزان، ج٢٠، ص٥٣٢.
(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٣.
(٣) نفس المصدر.

في كنف السورة:

١ ـ نصر اللَّه تعالى:

في القـرآن الكريم كـثيـر من الآيات الكريمة تضيف النصـر إلى اللَّه تعالى، يقـول تعالى:

﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[١].

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[٢].

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[٣].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وهذه الإضـافـة أي إضـافـة النصـر إلى اللَّه تعـالى تعني أن النصـر يحـتـاج إلى مـدد إلهي، فإن كل شيء في الوجود لا يمكن له أن يستغني عن العون والمدد والتوفيق الإلهي، وهي إمدادات غيبية ترتفع عن المسائل الحسيّة، وقبل الحديث عن أنواع الإمدادات وشروطها، نتعرّض بالإشارة إلى مصطلحين قرآنيين:

الرحمة الرحمانية: هي الألطاف الإلهية الشاملة لكلِّ الموجودات، فوجود كل شيء في هذا العالم بنفسه رحمة لذلك الموجود. وكذلك تعتبر كل الوسائل التي خلقت لأجل وجوده والحفاظ على بقائه رحمة له أيضاً، وهذه الرحمة تفاض وفق قوانين طبيعية عامة.

الرحمة الرحيمية: هي تلك الألطاف الإلهية الخاصة، التي يستحقها المكلَّف لحسن طاعته وامتثاله وأدائه، وهي تفاض وفق شروط وقوانين خاصة ومعينة.

ونحن نطلب من اللَّه تعالى هذا النوع الخاص من الرحمة يومياً في صلاتنا:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٤].

وتشمل هذه الألطاف الإنسان في حياته الفرديّة أو الاجتماعية وتنقذه من كثير من المآزق.

---

(١) سورة البقرة، الآية/٢١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية/١٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية/٢٥.

(٤) سورة الفاتحة، الآية/٥.

وقد شمل الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بمثل هذه الألطاف حيث يقول القرآن بحق الرسول الأكرم ﷺ:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾[1].

فالإنسان المؤمن بحاجة إلى مثل تلك الألطاف الإلهية الخاصة، والنصر من الله تعالى هو لطف منه على عباده المؤمنين، وهو مدد غيبي لا يتحقق إلا بشروط أقرّها الله تعالى وهي:

أ ـ **الإيمان**: يقول تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

ب ـ **العمل والجهاد**: قال تعالى:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[3].

فقوله: ﴿ **إِن تَنصُرُوا** ﴾ في هذه الآية، يفهم منه صريحاً أن اعطاء ومنح النصر مشروط بمن يعمل وينصر ويجاهد، والآيات الكريمة في الحث على الجهاد كثيرة، فليس الأمر كما قال اليهود للنبي موسى عليه السلام حين أمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدّسة:

﴿ ... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[4].

ج ـ **الأمل والصدق**: يقول تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[5].

فنلاحظ أن الله تعالى أراد للمؤمنين رغم ما بهم من ضيق وضرّ وبأساء أن يأملوا نصر الله فهو قريب.

ويقول أمير المجاهدين الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«... ولقد كان الرجل منا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا

(١) سورة الضحى، الآيات/٦ ـ ٨.
(٢) سورة الروم، الآية/٤٧.
(٣) سورة محمد، الآية/٧.
(٤) سورة المائدة، الآية/٢٤.
(٥) سورة البقرة، الآية/٢١٤.

ومـرّة لعـدوّنا منا، فلمّـا رأى اللَّه صـدقنا أنزل لعـدوّنا الكبت وأنزل علـينا النصر حتى استقرَّ الإسلام...»[1].

د ـ **في سبيل اللَّه**: أن يكون العمل والجهاد كله في سبيل اللَّه، فالنصرة لا بد أن تكون للَّه:

﴿ إن تنصُرُوا اللَّهَ ﴾.

والمجاهدة لا بد أن تكون في اللَّه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

هـ ـ إعداد العدّة: قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[3].

إذن لا يتحقق المدد الغيبي والنصر الإلهي عبثاً ولا مجاناً ونحن عاكفون في البيوت كما قال اليهود لنبيهم:

﴿ ... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[4].

بل لا بد من توفّر الشروط الموضوعية لكي تتحقق الألطاف الإلهية، وليست هذه الشروط من المستحيلات.

فدروس وعبر المسلمين الأوائل إلهامات مهمّة لكي نأخذ منها المدد الواقعي.

٢ ـ النصر ودخول الناس في الإسلام:

إن النصر له آثار مهمّة على النّاس المنتصر عليهم، من حيث تهيؤهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القوي، لا مع المنهزم الضعيف.

لذلك نرى السورة الكريمة ترتّب على النصر دخول الناس في دين اللَّه أفواجاً.

---

(١) نهج البلاغة، من كلام له في وصف حربهم على عهد النبي ﷺ، ج١، ص١٠٤. تحقيق الشيخ محمد عبدو. الخطبة ٥٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية/٦٩.

(٣) سورة .الأنفال، الآية/٦٠.

(٤) سورة المائدة، الآية/٢٤.

٣ ـ استمرارية النصر مشترطة:

النصر يعقبه انفعالات نفسية خطيرة على المنتصرين كالعجب، والغرور، والتكبر، والاقتناع بما وصلوا إليه، إلى غير ذلك من الصفات، من هنا ولكي يستمر النصر لا بد من إزالة هذه الرذائل الأخلاقية من نفوس المؤمنين، وذلك بدوام العلاقة بالله تعالى، بالتسبيح والاستغفار والتوبة، وهي رمز لدوام العلاقة بالله تعالى والتواضع أمام نعمه.

أسئلة حول الدرس



١ ـ هل تعرف اسماً آخر لهذه السورة؟

٢ ـ ما المراد من الفتح هنا؟

٣ ـ هل ترتبط هذه السورة برحيل النبي ﷺ إلى الملكوت الأعلى؟

٤ ـ ما هي شروط تحقق النصر؟

٥ ـ ما هي شروط استمرار النصر؟



للمطالعة

فتح مكة:

بعد صلح الحديبية عمد المشركون إلى نقض العهد، وإلى خرق بنود وثيقة الصلح، واعتدوا على المتحالفين مع رسول الله ﷺ. فشكى المتحالفون ذلك إلى الرسول، فقرر ﷺ أن يهب لحمايتهم.

لذلك استعد النبي للحركة بأمر الله سبحانه صوب مكة.

في المرحلة التمهيدية تم تعبئة القوى اللازمة واختيار الظروف الزمانية المساعدة، وجمع المعلومات الكافية عن العدوّ.

ـ هذه المرحلة اتصفت بالدقة المتناهية، ورسول الله ﷺ سيطر على الطريق بين مكة والمدينة سيطرة تامة حتى لا يتسرب خبر هذا الاستعداد الإسلامي إلى مكة، ولكي يتم الفتح بشكل مباغت وهذا أدى إلى فتح مكة دون إراقة دماء تقريباً.

النبي ﷺ توجه في العاشر من رمضان سنة ثمان للهجرة إلى مكة، ووصلها بعد عشرة أيام.

ـ والمرحلة الثانية كانت فتح مكة بأسلوب ماهر خال من القتال وصل المسلمون إلى مشارف مكة وعسكروا عند «مر الظهران» على بعد عدة كيلومترات من المدينة، وفي الليل أشعلوا نيران كثيرة لإعداد الطعام (ولعلهم فعلوا ذلك لإثبات تواجدهم الواسع)، رأى جمع من أهل مكة هذا المنظر فتحيروا.

أخبار الزحف الإسلامي كانت لا تزال خافية على قريش في تلك الليلة خرج أبو سفيان ومعه عدد من سراة قريش للاستطلاع خارج مكة.

وفي نفس الليلة قال العباس عم النبي ﷺ: «**يا سوء صباح قريش، والله لئن باغتها رسول الله في ديارها فدخل مكة عنوة إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر**».

فاستأذن رسول الله وخرج على بغلته لعله يرى واحداً متجهاً إلى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه.

وبينما العباس يطوف بأطراف مكة إذ سمع صوت أبي سفيان ومعه القرشيون الذين

خرجوا يتجسسون فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً أكثر من هذه!. فقال له أحد مرافقيه: هذه نيران خزاعة.

فقال أبو سفيان: خزاعة أذل من ذلك.

نادى العباس أبا سفيان، فسأله أبو سفيان على الفور: ما وراءك؟

قال العباس: هذا رسول الله ﷺ في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف.

قال أبو سفيان: ما تأمرني؟

أجابه العباس: تركب معي فأستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك.

فخرجا يركضان نحو رسول الله ﷺ. فكلما مرّا بنار من نيران المسلمين يقولون: عم رسول الله على بغلة رسول الله (أي أن المارّ ليس بغريب)...

دخل العباس أبا سفيان على رسول الله فقال رسول الله ﷺ للعباس: «**اذهب فقد أمنّاه حتى تغدو عليَّ به بالغداة**».

فلما كان من الغد جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ فلما رآه قال ﷺ:

«**ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟**».

قال: بلى، بأبي أنت وأمي لو كان مع الله غيره لقد أغني عني شيئاً.

فقال ﷺ:

ويحك ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟».

فقال: بأبي أنت وأمي، أما هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العباس: ويحك تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك! فتشهّد.

فقال رسول الله ﷺ للعباس: «**اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه**».

قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه.

فقال ﷺ:

«**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن... ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق**

بابه فهو آمن...».

ثم قال العباس: إلحق بقومك سريعاً فحذّرهم.

فخرج حتى أتى مكة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به. ثم قال: من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وقال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

ما قبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق فقال: أرسلي لحيتي وأقسم لئن أنت لم تُسلمي لتُضربنّ عنقك، ادخلي بيتك! فتركته.

ثم بلغ رسول اللّه ﷺ مع جيش منطقة «ذي طوى» وهي مرتفع يشرف على بيوت مكة. فتذكر الرسول ذلك اليوم الذي خرج فيه مضطراً متخفياً من مكة. وها هو يعود إليها منتصراً، فوضع رأسه تواضعاً للّه وسجد على رحل ناقته شكراً له سبحانه.

ثمّ ترجّل النبي الأكرم ﷺ في «الحجون» إحدى محلات مكة، وفيها قبر خديجة عليها السلام واغتسل، ثم ركب ثانية بجهاز الحرب ودخل المسجد الحرام وهو يتلو سورة الفتح. ثم كبر وكبر جند الإسلام معه. فدوى صوت التكبير في أرجاء مكة.

ثم نزل من ناقته، واقترب من الكعبة، وجعل يُسقط الأصنام واحداً بعد آخر وهو يقول:

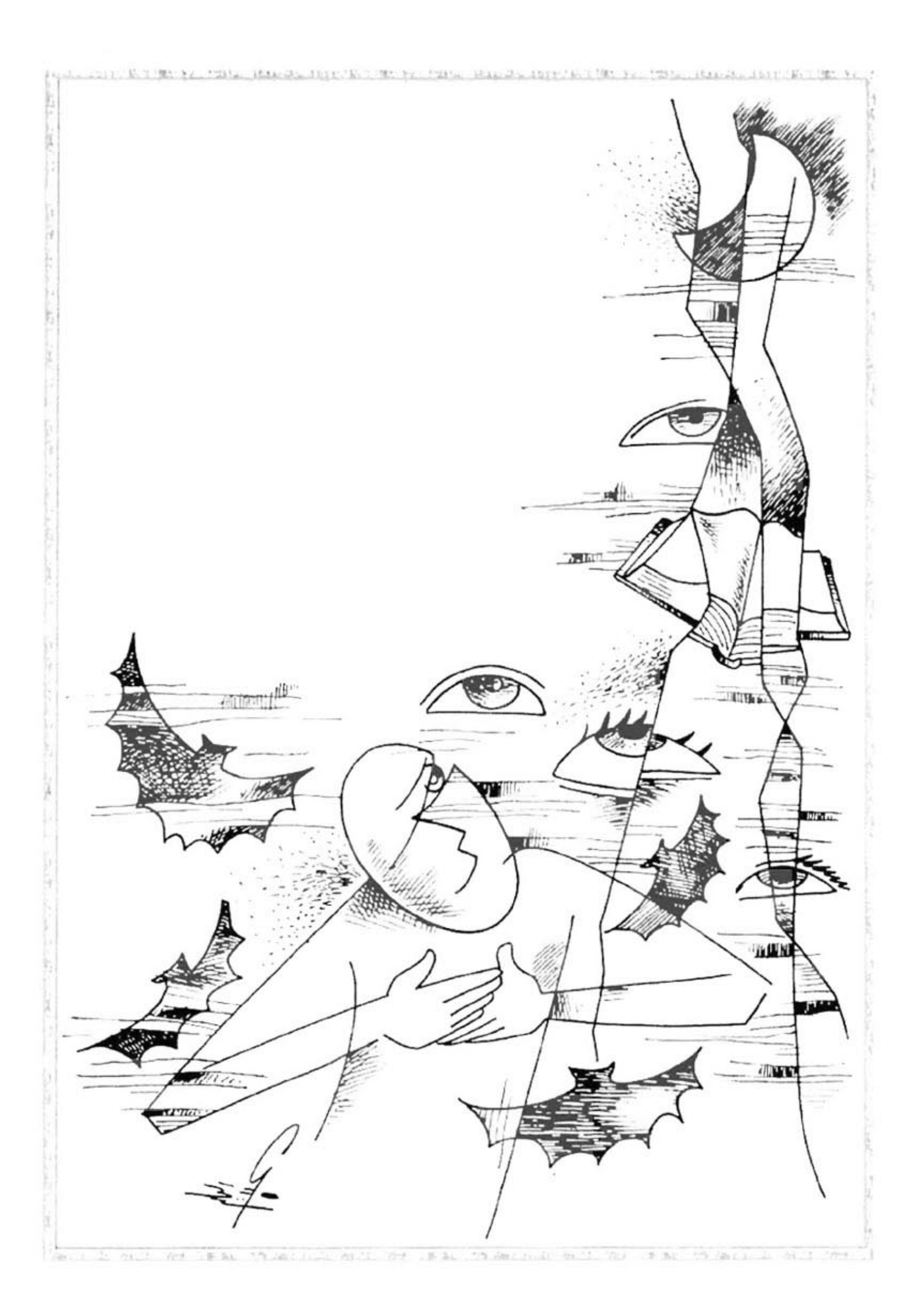
﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾.

وكان عدد من الأصنام قد نصب فوق الكعبة، ولم تصل إليها يد الرسول ﷺ فأمر علياً أن يصعد على كتفه المباركة ويرمي الأصنام فامتثل عليٌ عليه السلام أمر الرسول ﷺ.

ثم أخذ مفاتيح الكعبة[1].

---

(١) بتلخيص عن الكامل لابن الأثير، ج٢. وتفسير مجمع البيان، تفسير سورة النصر.



سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **أعوذ**: «العوذ» هو الاعتصام والتحرز من الشر بالإلتجاء إلى من يدفعه.

٢ ـ **الفلق**: الشق والفرق ويطلق أيضاً على الصبح لأنه يزيل الظلام.

٣ ـ **الغسق**: أول ظلمة الليل.

٤ ـ **وقب**: «الواقب» هنا الداخل.

٥ ـ **النفاثات**: «نفث» أي نفخ.

٢ ـ هوية السورة:

نزلت هذه السورة في مكة المكرمة[١] عدد آياتها خمسة.

محتوى السورة وفضيلتها:

تتضمن السورة تعاليم النبي ﷺ خاصة وللناس عامة تقضي أن يستعيذوا بالله من شر كل الأشرار وأن يوكلوا أمرهم إليه ويأمنوا من كل شر في اللجوء إليه وبشأن نزول السورة ذكرت الرواية المنقولة في أغلب كتب التفسير أن النبي ﷺ أصيب بسحر بعض

(١) قيل نزلت في المدينة.

اليهود، ومرض على أثر ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام وأخبره أن آلة السحر موجودة في بئر، فأرسل من يخرجها ثم تلا هذه السورة، وتحسنت صحته.

المرحوم الطبرسي ومحققون آخرون شككوا في هذه الرواية التي ينتهي سندها إلى عائشة وابن عباس لما يلي:

أولاً: السورة كما هو مشهور مكية ولحنها مثل لحن السور المكية، والنبي ﷺ جابه اليهود في المدينة وهذا يدل على عدم أصالة الرواية.

ثانياً: لو كان اليهود بمقدورهم أن يفعلوا بسحرهم ما فعلوه بالنبي حسب الرواية لاستطاعوا أن يصدوه عن أهدافه بسهولة عن طريق السحر، واللّه سبحانه قد حفظ نبيه كي يؤدي مهام النبوة والرسالة.

ثالثاً: لو كان السحر يفعل بجسم النبي ما فعله لأمكن أن يؤثر في روحه أيضاً، وتكون أفكاره بذلك لعبة بيد السحرة، وهذا يزلزل مبدأ الثقة بالنبي ﷺ. والقرآن الكريم يرد على أولئك الذين أتهموا النبي ﷺ بأنه مسحور إذ قال:

﴿... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[1].

«**مسحور**» في الآية تشتمل من أصيب بسحر في عقله أو في جسمه، وهذا دليل على ما نذهب إليه.

على أي حال لا يجوز أن نمس من قداسة مقام النبوة بهذه الروايات المشكوكة على آيات لم ينزل مثلهنّ (**المعوذتان**)[2].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«**من أوتر بالمعوذتين وقل هو اللّه أحد قيل له: (يا عبد اللّه أبشر فقد قبل اللّه وترك)**»[3].

عن النبي ﷺ قال لأحد أصحابه:

«**ألا أعلمك سورتين هما أفضل سور القرآن، أو من أفضل القرآن؟ قلت:**

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان/٨ ـ ٩.

(٢)(٣) نور الثقلين، ج٥، ص٧١٦.

بلى يا رسول الله، فعلمني المعوذتين، ثم قرأ بهما في صلاة الغداة، وقال لي: إقرأهما كلما قمت ونمت»[1].

وواضح أن هذه الفضيلة نصيب من جعل روحه وعقيدته وعمله منسجماً مع محتوى السورة.

في كنف السورة

في السورة المباركة استفادات عديدة:

١ ـ الاستعاذة:

بما أن الإنسان خلق ناقصاً ضعيفاً، جاهلاً محتاجاً فقيراً، فإذن هو لا بد أن يلجأ إلى كامل قوي عالم غني، ولكن الإنسان وقع في خطأ تشخيص هذا الكامل، فركز إلى ما لا يركن إليه، وغفل عن رب الأرباب، رب العالمين، المحيط بكل شيء، العالم بالسر وأخفى، الذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد.

والإنسان عادة ما يستعيذ ويلجأ إلى آخر؛ عندما يفقد ثقته بنفسه في مواجهة شر داهم، ويظن أن ما يستعيذ به قادر على أن ينجيه مما هو فيه، فيلجأ إليه، كمن يلجأ الذي يطارده الوحش إلى كهف أو حصن منيع.

وقد تكون الأخطار والشرور التي يخشى منها الناس مجرد أوهام وظنون ووساوس شيطانية، وبعض الناس لخطأهم في تشخيص من يلجأون إليه تعوّذوا مثلاً بالجن والسحر والأصنام؛ وكان عليهم الاستعاذة بالله خالق كل شيء، وهذا ما أمر الله به في آيات عدّة ومنها هذه الآية:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

فالاستعاذة حالة نفسية (لجوء وركون)، قوامها: الخشية من الخطر، والثقة بمن يستعاذ به.

---

(١) نور الثقلين، ج٥، ص٧١٦.

٢ ـ الشرور:

ورد العديد من الآيات الكريمة التي تتحدّث عن الشرور نأتي على بعضها ليتكامل البحث:

أ ـ توهُّم الشر والخير:

إن الإنسان باعتبار ضعفه وجهله قد يتوهّم أن ما غايته خير شراً، وما نهايته شر خيراً، فيتطلع إلى ظواهر الأمور وبداياتها ولا يتطلع إلى عمقها ونهاياتها.

يقول تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

فاللّه سبحانه يفتح أمام المؤمنين نافذة ليطلوا منها على عالم أوسع من هذه المشاعر الشخصية الضيقة التي تنتابُ الكائن البشري، ويعلّمهم: أن المشاعر الذاتية بالكره والحب، وتوهم الخير والشر، ليست معياراً لفهم المصلحة الحقيقية للفرد والمجتمع، فرب شيء تكرهونه ويكون فيه خير كثير، ورب شيء تحبونه وهو ينطوي على شر بليغ. واللّه تعالى هو المحيط بخفايا الأمور، ولا يستطيع البشر مهما بلغ وعيهم وفطنتهم إلا أن يفهموا جانباً من تلك الخفايا والمصالح البعيدة في الأحكام التي كتبها على المؤمنين.

فعلى الإنسان المؤمن أن يفهم أن كل هذه القوانين والأحكام هي لصالحه، تشريعية كانت كالجهاد والزكاة والصوم، أم تكوينية كالموت والمصائب التي تحل به أو بأحبائه، ولذلك عليه بالتسليم للّه والاستعاذة به ولا يحكم فيها علمه المحدود، فعلمه بالنسبة لمجهولاته كذرة بالنسبة إلى الكون الشاسع.

ب ـ الشر والخير بلاء:

قال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[(٢)].

---

(١) سورة البقرة، الآية/٢١٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية/٣٥.

فالدنيا دار امتحان وابتلاء، والآخرة هي دار القرار، والله تعالى يختبر الناس ـ بالشر والخير ـ.

في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: مرض أمير المؤمنين عليه السلام فعاده قوم.

فقالوا: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: أصبحت بشرّ.

قالوا: سبحان الله هذا كلام مثلك؟!.

فقال عليه السلام:

«يقول الله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾، فالخير الصحة والغنى، والشر المرض والفقر ابتلاءً واختباراً»[1].

ثم أن المصائب هي وسيلة مهمّة لتكامل الإنسان.

يقول إمام الصابرين علي عليه السلام:

«ألا وإن الشجرة البريّة أصلب عوداً والرواتع الخضراء أرق جلوداً، والنباتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً»[2].

يقول أحد الحكماء: **«البرنامج العملي للعظماء هو لا تتحمّل المشكلات فقط بل أحببها»**.

ويقول: **«لقد طالعت كثيراً في حياة الرجال النادرين فوصلت إلى هذه النتيجة وهي أن سبب نجاح أغلبهم هو الموانع التي واجهوها في حياتهم»**.

ج ـ شر الخلق:

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

---

(١) الدعوات للراوندي، ص١٦٨.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية/٢٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية/٥٥.

ويقول جلّ وعلا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

د ـ خير البرية:

يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[2].

٣ ـ النفاثات في العقد:

على بعض التفاسير أن النفاثات في العقد إشارة إلى النساء اللاتي كن يوسوسن في أذن الرجال وخاصة الأزواج ليثنوهم عن عزمهم المعقود وليوهنوا عزائمهم في أداء المهام الصالحة.

في الحقيقة أن للنساء دوراً بارزاً في الإفساد أو الإصلاح، والتاريخ مليء بكلا النموذجين، فمثال على النموذج الفاسد ما يروى عن سبب قتل النبي يحيى عليه السلام:

«أن امرأة بغياً افتتن بها ملك بني إسرائيل، وكان يأتيها، فنهاه يحيى، ووبّخه على ذلك، وكان مكرّماً عند الملك، يطيع أمره ويسمع قوله، فاضمرت المرأة عداوته، وطلبت من الملك رأس يحيى وألحّت عليه، فأمر به فذبح، وأهدي إليها رأسه...»[3].

ومثال على النموذج الصالح: انظر إلى «دلهم بنت عمرو»، زوجة زهير بن القين التي قالت لزوجها عندما حطّوا الرحال في «زرود» وجاء إليه رسول الحسين، فتحيَّر ووجم ولم يعرف جواباً فبادرته قائلة: سبحان اللّه أيبعث إليك ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولا تجيبه؟ ما ضرّك لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت؟ فكان موقفها ودعمها الروحي وتشجيعها سبباً لتحويل زهير إلى معسكر الحسين عليه السلام.

(١) سورة البينة، الآية/٦.

(٢) سورة البينة، الآيتان/٧ ـ ٨.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج١٤، ص١٨١.

٤ ـ شر الحاسدين:

الحسد شجرة خبيثة، لها فروع خبيثة، كالحقد والعداوة والإيذاء والكبر والقتل الخ، وقد ورد الكثير في ذمّه، قال الصادق عليه السلام :

«إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[1].

وعن الصادق عليه السلام :

«آفة الدين الحسد والعجب والفخر»[2].



أسئلة حول الدرس

١ ـ اذكر الآية التي تشير إلى توهُّم الشر والخير؟

٢ ـ اذكر الآية التي تشير إلى أن الشر والخير بلاء؟

٣ ـ من هم شر الخلق، أذكر آية في ذلك؟

٤ ـ ماذا يعني النفاثات في العقد على قول؟

٥ ـ اذكر حديثاً في ذم الحسد؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٤٨.



للمطالعة

آفة الحسد:

عن رسول الله ﷺ قال:

«**قال الله عزَّ وجلَّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تُتْبِعهُ نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي ضادٌ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك ذلك فلست منه وليس مني**»[1].

يقول الإمام الخميني قدس سره في معرض شرحه للحديث المتقدم:

إن «الحسد» حالة نفسية يتمنى صاحبها سلب الكمال والنعمة التي يتصورها عند الآخرين، سواء أكان يملكها أم لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها، وهذا يختلف عن «الغبطة» لأن صاحب الغبطة يريد النعمة التي توجد لدى الغير، أن تكون لنفسه، من دون أن يتمنى زوالها عن الغير.

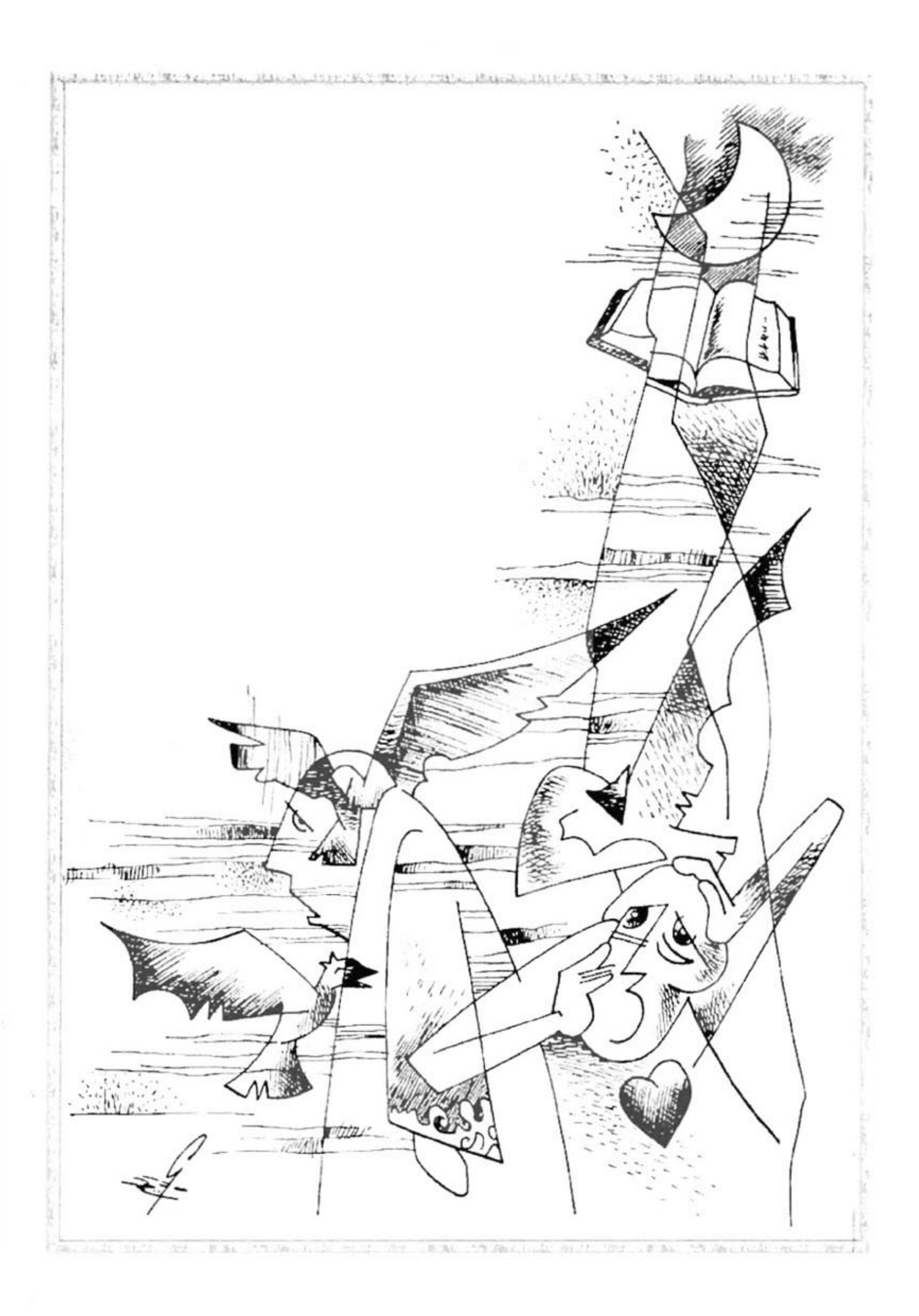
وأما قولنا «النعمة التي يتصورها عند الآخرين» فنعني به أنَّ تلك النعمة قد لا تكون بذاتها نعمة حقيقية. فطالما تبين أن الأمور التي تكون بحد ذاتها من النقائض والرذائل، يتصورها الحسود من النعم والكمالات، فيتمنى زوالها عن الآخرين، أو أن خصلة تعدَّ من النقائص للإنسان ومن الكمال للحيوان ويكون الحاسد في مرتبة الحيوانية فيراها كمالاً، ويتمنى زوالها فهناك بين الناس، مثلاً أشخاص يحسبون الفتك بالغير وسفك الدماء موهبة عظيمة. فإذا شاهدوا من هو كذلك حسدوه، أو قد يحسبون سلاطة اللسان وبذاءته من الكمالات وتصور وجود النعمة، لا النعمة لنفسها، فالذي يرى في الآخرين نعمة حقيقية كانت أو موهومة ويتمنى زوالها، يعدُّ حسوداً.

اعلم أن للحسد أنواعاً ودرجات حسب حال المحسود وحسب حال الحاسد وحسب حال الحسد ذاته أما من حيث حال المحسود، فمثل أن يحسد شخصاً لما له من كمالات عقلية، أو خصال حميدة، أو لما يتمتع به من الأعمال الصالحة والعبادية، أو لأمور خارجية أخرى، مثل امتلاك المال والجاه والعظمة والاحتشام وما إلى ذلك، أو أن يحسد

على ما يقابل هذه الحالات من حيث كونها من الكمال الموهوم الموجود في المحسود.

وأما من حيث حال الحاسد فقد ينشأ الحسد أحياناً من العداوة، أو التكبر، أو الخوف وغير ذلك من الأسباب والعوامل التي سيرد ذكرها فيما بعد.

وأما من حيث حال الحسد نفسه، الذي نستطيع أن نقوله أنها الدرجات، والتقسيمات الحقيقية للحسد دون ما سبق ذكره فلشدته وخفته مراتب كثيرة تختلف باختلاف الأسباب كما تختلف باختلاف الآثار.



سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾.

للحفظ:

١ ـ شرح المفردات:

١ ـ **الوسواس**: الصوت الخفي الذي لا يحسّ.

٢ ـ **الخناس**: صيغة مبالغة من الخنوس وهو التراجع والاختفاء.

٣ ـ **الجنة**: أي الجن في مقابل الإنس.

٢ ـ هوية السورة:

نزلت هذه السورة في مكة المكرّمة[١] وآياتها ست.

محتوى السورة وفضيلتها:

الإنسان معرض دائماً لوساوس الشيطان. وشياطين الجن والإنس يسعون دائماً للنفوذ في قلبه وروحه. ومقام الإنسان في العلم مهما ارتفع، ومكانته في المجتمع مهما سمت يزداد تعرضه لوساوس الشياطين ليبعدوه عن جادة الحق. وليبيدوا العالم بفساد العالِم.

هذه السورة تأمر النبي ﷺ باعتباره القدوة والأسوة أن يستعيذ بالله من شر الموسوسين.

---

(١) وقيل في المدينة.

محتوى هذه السورة شبيه بمحتوى سورة الفلق، فكلاهما يدوران حول الاستعاذة بالله من الشرور والآفات، مع فارق أن سورة الفلق تتعرض لأنواع الشرور، وهذه السورة تركز على شر (الوسواس الخناس).

وفي فضيلة هذه السورة وردت روايات متعددة منها ما روي:

«إن رسول الله ﷺ اشتكى شكوى شديدة، ووجع وجعاً شديداً. فأتاه جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، فقعد جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فعوّذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق وميكائيل بقل أعوذ برب الناس»[1].

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«من أوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد قيل له: يا عبد الله أبشر فقد قبل الله وترك»[2].

في كنف السورة:

١ ـ الوسواس:

الإنسان مركب من العقل والشهوة، والملائكة من العقل فقط، والحيوان من الشهوة فقط، كما ورد في بعض الأحاديث، لذلك كان من الطبيعي أن الإنسان تتجاذبه الموجات المتقابلة، من جهة موجة إلهية ملائكية ومصدرها العقل، ومن جهة أخرى موجة شيطانية إبليسية ومصدرها الشهوة، فهما يتصارعان، فإذا تغلب عقل الإنسان على شهوته أصبح أفضل من الملائكة، وإذا تغلبت شهوة الإنسان على عقله أصبح أخسَّ من الحيوان.

من هذا التصارع والتضاد في روح الإنسان وقلبه، يدخل الوسواس لكي يغلّب جهة الشهوة والهوى على جهة العقل والحكمة.

ولقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس

---

(١) نور الثقلين، ج٥، ص٧٦٤٥، ومجمع البيان، ج١٠، ص٥٦٧ و٥٦٩.

(٢) المصدر السابق.

الخناس، وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيد اللّه المؤمن بالملك، وذلك قوله تعالى: ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾.

وعنه عليه السلام:

«ما من قلب إلا وله أذنان، على أحدهما ملك مرشد، وعلى الآخر شيطان مفتر، هذا يأمره وهذا يزجره، وكذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي، كما يحمل الشيطان من الجن».

٢ ـ علاج الوسواس:

والوسواس مخالف للعقل والحكمة إلا أن كثرة تكرار الوسوسة على النفس تؤثر سلباً عليها، كما أن الإيحاء الإلهي الملائكي كثرة تكراره في النفس يؤثر إيجاباً عليها.

وهذا سرُّ الأمر بذكر اللّه تعالى ذكراً كثيراً؛ لأن النفس إذا لم تملئ بذكر اللّه، فسيدخل الوسواس الشيطاني الشهواني إلى الفراغ النفسي.

ولقد حثّ الإسلام العظيم على ذكر اللّه، فقال القرآن الكريم:

﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً ﴾[1].

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[2].

وحذّر من الإعراض عن ذكره:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[3].

وقال الصادق عليه السلام:

«ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هن؟ قال: المواساة في ذات اللّه، والانصاف من نفسه، وذكر اللّه كثيراً، أما وإني لا أقول لكم: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر، ولكن ذكر اللّه عندما أحل له، وذكر اللّه عندما حرم عليه».

(١) سورة الأحزاب، الآية/٤١.
(٢) سورة آل عمران، الآية/٤١.
(٣) سورة الزخرف، الآية/٣٦.

واعتبر الإمام الباقر عليه السلام ذكر الله صلاة، فقال:

«لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله يقول: الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض...».

وقال النبي صلى الله عليه وآله:

«يقول تعالى: (إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك الأبطال حقاً، أولئك الذين إذا أردت أن أهلك الأرض بعقوبة زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال)».

وقد تحدّث الإمام الخميني قدس سره عن تأثير الإيحاء المكرّر في النفس الإنسانية ولكن بمفهوم التلقين فقال:

«إن الكتب التي جاءت لبناء الإنسان كالقرآن الكريم، والكتب التي كتبت في الأخلاق وتستهدف بناء الإنسان وبناء الاجتماع تكرّر المواضيع حسب أهميتها. ويكثر التكرار في القرآن الكريم، ويتسائل البعض لماذا هذا التكرار؟ في حين أنه لازم أن التلقين هو من الأشياء المفيدة لبناء الإنسان. لو أراد الإنسان أن يبني نفسه لوجب عليه أن يلقّن نفسه تلك الأمور المرتبطة ببناء نفسه ويكرّرها.

ويزداد تأثير تلك الأمور التي ينبغي أن تؤثّر في نفس الإنسان من خلال التلقين والتكرار. فسبب تكرار الأدعية وتكرار الصلاة في كل يوم عدّة مرات ودائماً هو لكي يقول الإنسان ويسمع، ويقرأ بنفسه ويستمع تلك الآيات التي تبنيه مثل سورة الحمد المباركة... فالتلقين هو من الأمور الضرورية.

وسبب أنني ألقّن الأصدقاء في بعض المسائل مطلباً باستمرار هو أهميّة المطلب... ولذا ينبغي تكرار المسائل المهمّة، وأن يقوم الخطباء بالتكرار، ويلقن المستمعون أنفسهم باستمرار حتى تؤثر في النفوس إنشاء الله»[1].

---

(١) الإمام الخميني ـ كتيب التربية والمجتمع ـ مركز الإمام الخميني، ص٦٧.

ويقول أيضاً ﷺ:

«وكان شيخنا الجليل (هو آية الله محمد علي الملك آبادي) يقول: إن المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

إلى آخر السورة المباركة، مع تدبّر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثّرة جداً في إصلاح النفس وفي الوقاية من شرّ النفس والشيطان»[2].

اليهود كان من بعض معالجاتهم للمريض أنهم يهمسون في أذن المصاب ببعض آيات من سفر الخروج التي تقول: «**إذا أصغيت لكلام الرّب إلهك، وعملت ما هو حق في نظره، واستمعت إلى وصاياه، وحافظت على جميع فرائضه فلن أرسل عليك أي مرض من الأمراض التي أرسلتها على المصريين فإني أنا الرب الذي يبرئك**».

إن هذا الهمس والإيحاء وتأثيره يعرف بعلم النفس الحديث «بالإيحاء» الذي يؤثر في النفس الإنسانية تأثيراً لا شك في فاعليته ونجاحه كما تدلّ تجارب هؤلاء العلماء[3].

٣ ـ تنوّع الوسواس في هذا العصر:

الوسواس الشيطاني كانت وسائله في الماضي أقل خطراً ودخولاً إلى المجتمع المؤمن، أما في هذا الزمن فلقد كثرت الإغراءات وقلّت الكوابح، سبل الشيطان مفتوحة، وأبواق الضلال مرتفعة أصواتها، في هذا الزمن أصبح المؤمن فيه قابضاً على إيمانه كأنه قابض على الجمر.

فالوسواس في هذا الزمن يأتي بألف ملبس وملبس، فلا بد من اللجوء إلى رب الناس وملك الناس وإله الناس، والاستعاذة به منه في كل أشكاله وصوره، أصدقاء

---

(١) سورة الحشر، الآية/١٨.

(٢) ن.م، ص٣٩.

(٣) لمزيد من التفصيل أنظر، الرياضة، الروحية والصوم الديني، الشيخ عباس رشيد، دار المحجة البيضاء، ص١٥١ وما بعدها.

السوء، الجلساء المنحرفون، الولاة الجبابرة الطواغيت، الكتاب الخطباء الشعراء الفاسدون، المدارس الإلحادية والالتقاطية المخادعة، ووسائل الإعلام الفاسدة، والانترنت، إلى غير ذلك الذي يندرج تحت المفهوم الواسع للوسواس الخنّاس.

﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾[1].

أسئلة حول الدرس

١ ـ ماذا يعني الوسواس الخناس؟

٢ ـ لماذا نحن بحاجة إلى الاستعاذة؟

٣ ـ كيف تصوِّر التصارع في الإنسان؟

٤ ـ كيف تعالج الوسواس؟

٥ ـ هل يختلف الوسواس في هذا العصر عن العصر القديم؟

(١) سورة النساء، الآية/٧٦.



للمطالعة

وسوسة الشيطان؟!

في الحديث:

«ذكرتُ لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء للصلاة وقلت له: هو رجل عاقل. فقال أبو عبد الله عليه السلام وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتي من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك: من عمل الشيطان».

يقول الإمام الخميني قدس سره أعلى الله مقامه:

اعلم أن الوسوسة والشك والتزلزل والشرك وأشباهما من الخطرات الشيطانية والإلقاءات الإبليسية التي تقذف في قلوب الناس، كما أن الطمأنينة واليقين والثبات والإخلاص وأمثالها من الإفاضات الرحمانية والإلقاءات الملكية وتفصيل هذا الإجمال بصورة مختصرة هوان قلب الإنسان شيء لطيف متوسط بين نشأة الملك ونشأة الملكوت. بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ـ وجهة منه نحو عالم الدنيا والملك، وبها يعمّر هذا العالم، ووجهه أخرى منه نحو عالم الآخرة والملكوت والغيب وبها يعمّر عالم الآخرة والملكوت.

فالقلب بمثابة مرآة لها وجهان، وجهه منها نحو عالم الغيب وتنعكس فيه الصور الغيبية، ووجه آخر نحو عالم الشهادة وتنعكس فيه الصور الملكية الدنيوية. ويتم انعكاس الصور الدنيوية من خلال القوى الحسّية الظاهرية وبعض القوى الباطنية مثل الخيال والوهم وتنتقش الصور الأخروية فيها من باطن العقل وسرّ القلب.

فإذا قويت الوجهة الدنيوية والتفتت كلياً إلى تعمير الدنيا وانحصرت في هذا العالم واستغرق في ملاذ البطن والفرج وكافة المشتهيات والمتع الدنيوية، انعطف باطن الخيال نحو. الملكوت السفلي الذي يكون بمثابة الظل المظلم لعالم الملك والطبيعة وعالم الجن والشياطين والنفوس الخبيثة. وتكون الالقاءات شيطانية وباعثة على تخيلات باطلة وأوهام خبيثة. وحيث أن النفس تنتبه إلى الدنيا فتشتاق إلى تلك التخيلات الباطلة ويتبعها أيضاً العزم، والإرادة وتتحول كل الأعمال القلبية والغالبية إلى سنخ الأعمال

الشيطانية من قبيل الوسوسة والشك والترديد والأوهام والخيالات الباطلة وتصبح الإرادة على ضوء ذلك في ملك الجسم فعّالة وتتجسد الأعمال البدنية أيضاً حسب الصور الباطنية للقلب لأن الأعمال صورة وتمثال للإرادات التي هي صور ومثال للأوهام التي بدورها انعكاس لاتجاه القلب وحيث أن وجهة القلب كانت نحو عالم الشياطين، كانت الإلقاءات في القلب من سنخ الجهل المركب الشيطاني وفي النتيجة تستشري من باطن الذات الوسوسة والشك والشرك والشبهات الباطلة وتسري في كل أنحاء الجسم.

وعلى هذا القياس المذكور، إذا كانت وجهه القلب نحو تعمير الآخرة والمعارف الحقة وعالم الغيب لحصل له وئام مع الملكوت الأعلى الذي هو عالم الملائكة وعالم النفوس الطيبة السعيدة والذي يكون هذا العالم بمثابة الظل النوراني لعالم الطبيعة وتعتبر العلوم التي تفاض عليه من العلوم الرحمانية الملكية والعقائد الحقة وتصير الخواطر من الإلقاءات والخواطر الإلهية ويتطهر من الشك والشرك وينزه منهما وتجعل الاستقامة والطمأنينة في النفس وتصير أشواقها أيضاً على ضوء تلك العلوم وإرادتها على ضوء تلك الأسواق ومجمل الكلام أن الأعمال القلبية والغالبية والظاهرية والباطنية تتحقق على أساس العقل والحكمة.

فهرس